في بنغازي كانت لنا أيام

عبدالسلام الزغيبي

في بنغازي ... كانت لنا أيام

دار البيـــان
للنشر والتوزيع والإعلان

في بنغازي...
كانت لنا أيام

عبدالسلام الزغيبي

الغلاف: ميدان الشجرة – بنغازي

التصميم: معاوية محمد بن أحمد

- الطبعة: **الأولى 2019** م
- رقم الإيداع المحلي : **483 / 2018** دار الكتب الوطنية بنغازي
- الرقم الدولي الموحد: ردمك **ISBN 978-9959-37-069-3**

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب بنغازي - ليبيا

- جميع حقوق الطبع والاقتباس والترجمة محفوظة للناشر:

دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان

بنغازي – ليبيا

هاتف 061.2232104 – محمول 091.2090770

إهداء

إلى روح أمي الغالية التي فقدتها وكنت في حاجة لأن تروي لي الكثير من الحكايات والذكريات.

إلى كل من وقف بجانبي وساعدني في تجميع مادة هذا الكتاب.

وإلى كل قلم حر ناضل من أجل رفعة وعلو ليبيا الحبيبة.

إلى معشوقتي... بنغازي

أهدي هذا الكتاب

شكر وتقدير

شكر وتقدير إلى شقيقي منصور الزغيبي الذي قدم الكثير من النصح والارشاد وأضاف معلومات هامة للكتاب كانت غائبة عني.

المقدمة

عبد السلام الزغيبي واحد من أبناء الجيل الذي كان قدره أن يعيش باكورة شبابه في عهد الانقلاب العسكري الذي شهدته البلاد عام 1969. وكان نكسة على البلاد التي شهدت تحولا تدريجيا نحو القمع والتخلف وكبت الحريات.

أدى ذلك العهد إلى وأد أحلام جيل من الشباب المتطلع إلى بناء مستقبل أفضل حيث بدأ النظام الحاكم في البلاد يمارس التوجيه القسري إلى الثانويات والكليات العسكرية بأعداد كبيرة والزج بشباب المدينة في التدريب العسكري بالقبض عليهم في الشوارع وحملهم في حافلات إلى معسكرات التدريب ومن ثم ألقى بهم في أتون معارك أوغندة وتشاد نتيجة المغامرات المجنونة للقذافي، وإلقاء القبض على مجموعة منهم وسجنهم بتهم سياسية.

هاجر الكثير من أبناء ذلك الجيل إلى خارج البلاد. وعاشوا في الغربة هربا من ممارسات النظام الظالمة. وكانت بنغازي تعيش في قلوبهم بذكرياتها الطيبة.

وفي عام 1980 غادر الشاب عبدالسلام الزغيبي مدينته بنغازي إلى أثينا حاملا حقائبه وذكرياته وسلة أحلامه.

حمل عبدالسلام بنغازي في قلبه بشوارعها وأزقتها ووجوه أناسها

الطيبين. وكانت مدينته التي قضى فيها أجمل أيام الطفولة والصبا هي الوتد الذي يشد إليه حبل الذاكرة.

وفي سنوات غربته عاش حالة من النوستالجيا التي عبر عنها بكتابة ذكرياته منذ الأيام الأولى لطفولته حيث تفتحت عيناه على شوارع وأزقة مدينة بنغازي وأسواقها العامرة بمختلف البضائع.

في هذه الذكريات يعود بنا عبدالسلام الزغيبي إلى الزمن الجميل الذي عاصره بسذاجة الطفولة وأسئلتها البريئة. وطموح الشباب المندفع نحو الحياة. يعود بنا إلى بساطة الحياة ونكهة العيش بقناعة ورضا. إلى الدراسة في الكتاب وعصا الفقيه. وطهي الطعام على بابور (القاز). ومصباح (القاز) الذي يضاء ليلا في البيوت الطينية. والأغنيات التي يرددها الأطفال في ألعابهم. والوجوه التي تمر عبر شوارع المدينة. والأسماء القديمة للأحياء والشوارع.

أفرغ عبدالسلام الزغيبي مخزون ذاكرته التي كانت تحمل مدينة كاملة بشوارعها وأسواقها وطيبة أهلها وبساطة العيش فيها وعاداتها وشخصياتها المتنوعة. وفي ذات الوقت ظل يحمل حزنا دفينا وهو يبحث عن مدينة عاد إليها بعد غربته فوجد فيها أطلالا لبيوت قديمة تهدمت نتيجة الإهمال الذي لحق بها في عهد القذافي ومحاولة طمس تاريخها وهدم معالمها.

محمد العنيزي

استهلال

لا جدال في أهمية الذاكرة بالنسبة إلى الفرد كما بالنسبة إلى الشعوب. ولا أحد يستطيع أن ينكر أهمية التوثيق، يمكن أن يكون السبب الأهم والكافي للبحث هو من أجل حفظ مادة للدرس والبحث، أي كمادة للمعرفة والمزيد من المعرفة. قد نحتاج أن نعلم كيف عاش من سبقنا وماذا تركوا لنا من إرث فكري ومعنوي ومادي. كما علينا أن نترك لمن يأتي بعدنا «أثرا»، لكي يعرف ماذا فعلنا.. فمن المهم أن يبقى للأجيال القادمة تراث ما... ربما لهذا السبب وغيره، فكرت في كتابة هذا السرد الشخصي المتواضع عن مدينتي التي عشت فيها أحلى سنوات عمري، ليأتي بعدي من يضيف إليه، ويحسن منه.

كان التسامح والود والمحبة يطغي على حياة الناس وعلاقاتهم الاجتماعية.في مدينة بنغازي التي اشتهرت ببراءة وطيبة وبساطة أهلها، يحبها كل من وطئت قدماه أرضها، فيستوطنها ولايستطيع فراقها! لأنه يحس إحساسا حقيقيا بأن هناك علاقة وثيقة تربطه مع سكانها، وكأنه عرفهم منذ مدة طويلة، وهذاربما يكون، هو أحد أسرارها الكثيرة.

صحيح أنه مع مرور الوقت،تغيرت التركيبة السكانية فيها، بدأت تتغير طباع الناس مع دخول الغرباء عن المدينة بعاداتهم... إلا أن بقايا من أهلها الطيبين رغم التهميش، ظلوا متمسكين بأصالتهم، ولم ينسوا عاداتهم وتقاليدهم الجميلة.

ربما تكون شهادتي حول مدينتي بنغازي، منحازة بعض الشئ ومثالية، هذا لأن للحنين والهوى نصيبا كبيرا في علاقة المرء بمدينته. أنا أكتب عن مدينة حقيقية حية، مازالت بعض تقاطيعها القديمة صامدة على الأرض. ومهما كانت صورتها الحالية أو ماتبقى منها، فلا مبالغة في أنها تبدو الاكثر تاثيرا في وجداني، لأنها أولا أسهمت بشكل كبير في تشكيل حياتي وذاكرتي، ومن خلال ما منحته لي بسخاء، وكانت بوابتي المشرقة على العالم.

إن جيلنا (مواليد الستينات وما قبلها)، كافح طويلا وناضل بصدق وشرف، وصارع لا لكسب شخصي ولا لإثبات الذات، كان يصارع ويحترق من أجل مجموعة من القيم التي آمن بها.. وصارع من أجل حلم مسيطر بحياة جديدة لهذا الوطن.

جيل كانت له أفكار وخواطر وأحلام، سعى لتحقيقها بأمانة وصدق وإخلاص، وكان اختلافه عن الأجيال الجديدة، وهذا ليس ذنبها، إنه عاش عندما كانت الحياة بسيطة، ومتناسقة، وكان الناس مهذبين محترمين، وكان الفقر جميلا رغم قسوته أحيانا كثيرة.

جيل دفع ثمن الإيمان بوطنه وقضيته. مطارة وقبض واعتقال وتعذيب وسجون وغربة في الوطن وخارج الوطن. أتذكر مطاردة رجال أفراد شرطة المتحركة للطلبة في شارعنا والشوارع القريبة منه أثناء مظاهرات الطلبة التي وقعت في يناير عام 1964 م والتي سقط فيها ثلاث شهداء من فتية

بنغازي الرائعين صالح النقاز، علي لامين البيجو، و مفتاح بن حريز.

أتذكر تجمعنا عند الجامعة الليبية في وسط شارع جمال عبد الناصر أثناء أحداث الطلبة 1976 وحضور الرائد سليمان محمود راكبا مركبة عسكرية مهددا الطلبة بدهسهم إذ لم يبارحوا مكانهم ويفكوا اعتصامهم.

أتذكر جيدا مشهد إعدام عمر دبوب وبن سعود شنقا في ميدان االكنيسة الكاثوليكية،عام 1977 وهو مشهد لن أنساه طوال حياتي، الحكاية من البداية جاء المرحوم محمود الاوجلي صاحب محل بقالة في شارع طرابلس، ويقول كنت مارا من أمام الكنيسة وهناك جمهور كبير ومشانق تنصب.. هيا بسرعة.. هرولت مسرعا رغم أن بيتنا لا يبعد كثيرا عن المكان.. وصلت ورأيت المشهد المأساوي منصة الإعدام قائمة وجثث تتدلى في المكان (المكان الذي كنا نتجمع فيه ونلعب الكورة كل يوم جمعة)، عرفت فيما بعد أنها جثة دبّوب وبِن سعود اللاتي تتدليان من المشنقة. وقفت مشدوها في ذهول ووجوم أمام هذا المشهد، صعب عليا تصديق ما شهدت بأم عينيا، لأنّ ما رايته صورة طبق الأصل من صور نشرت في الجرائد والكتب عن فترة الاستعمار الإيطالي وشنق المجاهد عمر المختار وكَأنّ التاريخ يعيد نفسه، لكن بدلا من موسوليني هناك القذافي!

كان لدينا إحساس كبير في بعض الأيام، أن جيلنا عاش، سنواته كاملة، بالطول والعرض والعمق والارتفاع، لقد كنا شهودا على تغيرات كبيرة وقعت في هذه الدنيا، واستمتعنا بها وجاءت بطريقة تدريجية وعلى سنوات، وليست بطريقة فجائية مثلما يحدث هذه الأيام، عشنا عصر الراديو الضخم الذي يعمل بالبطارية، ثم راديو الترانستور، والبيك أب، والمسجل الكاسيت، والتلفزين الأسود والأبيض، ومن ثم التلفزيون

الملون والفيديو، والستالايت، والسي دي والدي في دي، والتلفون الثابت والمحمول، حتى وصلنا إلى تكنولوجيا الـ (أيباد)! تغيرات كان لها تأثير كبير على الذين عاصروها، ومع كل هذا فقد حافظنا قدر الإمكان على القيم والمبادئ التي تربينا عليها.

لقد تركت لنا تلك الأيام، الذكريات الجميلة، ممزوجة بالحسرة على ماضي تولى، وأيام من السنين الخوالي تراجعت، وحكايات من الزمن الماضي ترسبت.

سـرد

يقول الكاتب الإيطالي جوزيبي بونافير "أنه لا بدّ للحنين من أن يخفف وطأة الألم، من أن «يلف بالعسل هذه الروح التي أصبحت خاوية من جراء غياب الأحبة والكائنات العزيزة على نفوسنا».

هذا المزيج من الروائح والألوان والعواطف والأحاسيس لا بدّ من أن يشكل مزيجاً فريداً لذاته وملجأ لكلّ واحد منا، كي نغرف منه هذه المواد المختلفة التي تساعدنا على الاستمرار في العيش لغاية الهدأة وربما الخمود الأخير".

رغم كل أيام الطفولة فإن هناك دائما الحنين الظاميء لتلك الأيام والأزمان. إلى الذكريات التي جاءت مزيجاً من الأشياء الجميلة، الحلوة والمرة إلى الجارح والقاهر إلى البهيج حتّى الدمع.

إنّ ذاكرة الطفل باقية كما هي بقاءَ الحياة، لا تصلها رطوبة الشيخوخة،ولا الهرم، مهما تغيرَ المكان وامتد بنا الزمان. ولهذا وودت تسجيل تلك الأيام.

ولدت قبل الستينات بعامين، من القرن الماضي فى بيت مثل كل بيوت

الطبقة المتوسطة في بنغازي في الحى الأوربي من المدينة (شوارع النصارى، كما كان يطلق عليها قديما)، والذي كانت تسكنه بالطبيعة، عدة عائلات عربية بشارع العقيب، هو اول الشوارع في الحي من الناحية الشرقية، ثم تتوالى الشوارع، شارع محمد موسى، شارع تورينو، شارع زوارة،شارع مصراتة، شارع منصور الكيخيا، شارع جمال عبد الناصر، حتى شارع الكورنيش (النصر)، حيث تسقط الشمس في غروب كل يوم. وفي هذا الحي كانت توجد، المتاجر الإيطالية والمخابز الإيطالية، والبيوت اليهودية، والعربية، وعاشت الأسر المالطية واليونانية والإيطالية، والإنجليزية والألمانية، وبعض العائلات اليهودية.

دخلت المدرسة الابتدائية،عندما بلغت السادسة من عمري، في مدرسة "اللواحي" التي تقع في شارع اللواحي الذي لايبعد عن بيتنا إلا بخمس شوارع، كانت المدرسة عبارة عن حوش عربي كبير فيه ست حجرات، أربعة استعملت كفصول دراسية وحجرة لناظر المدرسة وحجرة للمدرسين، وكان هناك فناء تدخله الشمس من كل مكان. ورغم بساطة وفقر المكان فان وسط الحوش كان يتحول إلى فناء لممارسة بعض الأنشطة البدنية.

كان يتوفر لنا وجبة فطور يومي مكون من الخبز والتن الوطني (تن ليبي لذيذ)، والحلوة الشامية (حلوة بر الترك)، وكانت متوفرة بصناعة محلية من مصنع (ابراهيم كانون) الواقع بمنطقة الرويسات، والخبز بالتناوب يوم تن ويوم حلوة معجونة، وفي بعض الأيام يمكنك الاختيار ما بين الاثنين، وكانت إدارة المدرسة وعن طريق وزارة المعارف (التعليم فيما بعد)، توزع علينا حليب المثلثات، والفول السوداني (الكاكاوية)، وتوفر لنا أيضا الكراسات والكتب المدرسية المطبوعة وأقلام الرصاص

والممحاة والمبرأة، والألوان الخشبية (اللوح)، وكل مايلزم التلميذ، رغم قلة الإمكانيات وضعف ميزانية الدولة التي كانت تعتمد على المساعدات الخارجية من إيجار القواعد الأمريكية والبريطانية. وكان هناك اهتمام واضح بالصحة العامة للتلاميذ، بالتطعيم ضد الأمراض أو ما عرف بالتطعيم أو بالحجيمة (طابع على الكتف الأيسر!)، وكان هناك تفتيش على المظهر الخارجي من ملابس وشعر وأظافر.

وعندما وصلنا للصف الرابع تم نقلنا للدراسة في الفترة المسائية (العشية) في مدرسة البزار للبنات الصباحية، لأن سقف الفصول الدراسية بدأ يرشح الماء (يقطر)! بمجرد بداية فصل الشتاء وهطول الأمطار. ومن هناك انتقلنا لمدرسة الأمير العريقة، لندرس الصف الخامس الابتدائي.

كان كتاب المطالعة الليبي يعتمد اعتمادا كاملا على المنهج المصري، كنا مثلا ندرس قصة (سرحان بين البيت والغيط)، وهي قصة تربوية تدعو إلى تنمية التفكير والإبداع وتبعد النمطية والغباء، ومفاد هذه القصة أن شخصية سرحان كأن حرفيا في سلوكه غير مبدع ولا يستفيد من تجاربه، فعندما أرسلت أمه معه بعض النقود لجدته حملها سرحان في يده فسقطت منه في الطريق وهو لا يدري، فعاد سرحان يبكي فقالت له أمه: لقد أخطأت يا سرحان بحملك النقود في يدك، كأن عليك يا بني أن تضع النقود في جيبك، وعندما بعثت معه كمية من الزبد لجدته تذكر نصيحة أمه السابقة، فوضع الزبد في جيبه، وساح الزبد من الحرارة وحدث ما حدث، فرجع باكيا إلى أمه فقالت له: كأن عليك يا سرحان أن تحمل الزبد في يدك، وبعد مدة أرسلت معه خروفا صغيرا لجدته، فتذكر

آخر نصيحة لأمه فحمل الخروف بين يديه، فأنهكه التعب واتسخت ملابسه فقالت له جدته: كأن عليك أن تربط الخروف في حبل وتجعله يسير خلفك، وعندما بعثت معه دجاجة إلى جدته تذكر نصيحة جدته يوم الخروف، فربط الدجاجة من عنقها وجرها قصرا خلفه فاختنقت الدجاجة وماتت، وهكذا مواقف لا تنتهي عن سرحان بين البيت والغيْط، الذي يعني في المفهوم المصري، هو الريف. وقصص وأناشيد وأشعار أخرى مثل، الثعلب المكار والغراب، وديكي ديكي أنت صديقي أنت أنيس البيت رفيقي، صح في داري، وأيقظ جاري، واشرب ماءا من إبريقي. وقصة العنزات الثلاث والذئب. وقصة القرود فوق الشجرة!

ومن أجمل الأناشيد، في ذلك الوقت، التي ساعدت في تربية الذوق السليم عند الأطفال، وغرس الإيمان بطريقة بسيطة وجميلة..

"يا إلهي يا إلهي يا مجيب الدعوات

إجعل اليوم سعيدا

وكثير البركات

وأعني في دروسي

وأداء الواجبات

واحمني واحمي بلادي من شرور الحادثات"

بعد انتهاء العطلة الصيفية، وعودة الدراسة، نستيقظ باكرا كالعادة، على رائحة القهوة والحليب الساخن، أو السحلب بالقرفة، الذي تعده الأمهات منذ الساعات الأولى للصباح، نتناول إفطارنا المكون من القهوة

بالحليب والكعك المعد في البيت، نلبس الزي المدرسي (القرنبولي) وننطلق مسرعين ننشد:

صباح الخير مدرستي

صباح الخير والنور

إليك اشتقت في أمسي

فزاد اليوم تبكيري

أراقب دقة الجرس

يسوق إلي ألحانا

كنا نرتدي في المدرسة زيا مدرسيا موحدا، هو (القرنبولي) وهي كلمة إيطالية كانت متداولة في تلك الأيام شأنها شأن كلمات إيطالية أخرى، دخلت في الحديث الليبي اليومي بفعل الاستعمار الإيطالي للبلاد لمدة 30 سنة تقريبا، مثل "سبيتار" وتعني مستشفى، و"جردينا" وتعني حديقة و"مارشابيدي" وتعني رصيف، وغير ذلك من الكلمات التي مازالت متداولة على نطاق ضيق حتى الآن.

وكان المدرس مهاباً، يحظى بقدر كبير من الاحترام، فلم تكن هناك دروس خصوصية خارج المدرسة، أذكر أن المدرسين كانو يؤدون عملهم بإخلاص وجدية كبيرة، كانو يدخلون على صوت الجرس ويخرجون على صوت الجرس، ولم يكن هناك أي إهمال أو استهتار، كما كان المفتشون يقومون بالتفتيش بدقة على كراساتنا ويحاسبون المدرسين، أما فراش المدرسة أو البواب، فكانت لديه تعليمات ألا يفتح الباب لأي كان، لو تأخرت

أكثر من ربع ساعة، وإذا تكرر الأمر يمنعونك من دخول الفصل، حتى تحضر ولي أمرك، ويقولون لك، أحضر ولي أمرك "عدي جيب ولي أمرك"، وهذا الطلب كان يعني الكثير بالنسبة لنا.

كان النظام التعليمي، قبل الجامعي، يتكون من ثلاث مراحل: الابتدائى (الأساسى ومدته ست سنوات، والإعدادى ومدته ثلاث سنوات، والثانوى ومدته ثلاث سنوات).

كان التلاميذ يختلفون من حيث الطبقات الاجتماعية، وغالبيتهم من الشرائح الفقيرة ومن الطبقة الوسطى، أبناء تجار، وموظفين على درجات الإدارة العليا والوسطى بالحكومة..

رغم ذلك لم يكن هناك أية فروق تذكر، الكل يتعلم بنفس الطريقة ويأكل نفس الفطور ويلبس نفس الزي الموحد. كان معي ابن الوزير وابن الغفير! من رفاق مدرسة اللواحي، أذكر توفيق بن علي، ونيس الرعيض، بوبكر بوعود، نجيب الطرابلسي، حسين خليف، جمال عبيده، لامين الفزاني، فوزي فطنه، جمال البسيوني، المرحوم أحمد المقوب.

ومن هناك انتقلت لمدرسة الأمير، ومديرها ابن عمتي، المربي الفاضل رجب علي النيهوم ومساعده الأستاذ أحمد الشريف الرياضي القديم بنادي النجمة، وهناك درست سنة خامسة ابتدائي، وتعلمت مناشط مختلفة إلى جانب الدروس التعليمية، كان هناك ملعب صغير لكرة القدم، وملعب آخر لكرة السلة وكرة الطائرة، وغرفة الرسم والفنون مع الأستاذ الفلسطيني علي السعيد (أطال الله في عمره)، أذكر من رفاق الدراسة، بدر فركاش، فتحي كشير رحومة، المرحوم طه الغناي،وغيرهم مما لاتسعفي الذاكرة لتذكرهم..

سنة سادسة ابتدائي، درستها في مدرسة التحرير بمنطقة سيدي حسين، في ما يعرف بحوش البدرية (بيت رئيس وزراء ليبي سابق..عبد القادر البدري)، وهناك كان أستاذنا في الحساب السنوسي الدغيلي، ومدرس الرياضة محمد المهدي بوزيد، الذي كون منا فريق ممتاز في كرة القدم فاز على كل المدارس المجاورة لنا، وكان من ضمن عناصر الفريق لاعب الأهلي علي الميار، ولاعب النصر عادل السنوسي.

ومن هناك للمدرسة العريقة (مدرسة سيدي حسين)، ومديرها الأستاذ الفاضل على بوشناق، والأستاذ عبد السلام الشركسي، والمدرسين. الإخوة، سالم وسليمان الجوهري، ومنها خرج رجال ساهموا في العطاء من أساتذة وأكاديميين وكتاب وشعراء وأدباء ومشايخ دين وأطباء ورياضيين. وكان من رفاق الدراسة المرحوم حميد فلاق، المرحوم علي الورفلي، والكابتن أنور طلوبة، الصالحين المهدوي، عادل السنوسي، وغيرهم.

ومن هناك، انتقلت لمدرسة أمحمد المقريف، غير البعيدة عن منارة بنغازي، وشباك الفصل يطل على بحر الشابي الواقع بمنطقة خريبيش، والناظر المربي الفاضل سعد سنيدل وصوته الجلجل في ردهات الفصول، والأستاذ المتأنق دائما، (أستاذ مادة اللغة الإنجليزية..سالم الجريسي)، والاستاذ عبد الرسول الفزاني، ولا أستطيع أن أنسى أستاذ اللغة العربية والدين، سالم بوشريدة، الذي رغم صرامته أحيانا، كان يشجعني ويعطيني درجات عليا عندما أكتب موضوع الإنشاء، وأتذكر أستاذ الموسيقى علي أبو السعود، ورفاق الدراسة (خالد ومحمود الفلاح، عصام الدراجي، مادي تربل، منعم بوعود، يوسف كشبور، والدكتور علي بن جليل، طاهر الفزاني، حسين الفرجاني، وغيرهم مما لا تسعفني الذاكرة..

في المدرسة كان هناك مقصف لبيع السندوتشات، لكن كنا لا نرغب في الشراء منه، ونخرج نفطر سندويتش فول مدشش من مطعم (اشتيوي) أو انصاص فاصوليا مع (المسير) من مطعم "قريتشه". وأحيانا نذهب إلى مطعم سي خليفة في سوق احداش، إذا كان الحصة الرابعة تكون رياضة أو موسيقى، أو حصة أستاذ عندنا عليه دلالة!

وبسبب انتقالي إلى عدة مدارس في مناطق مختلفة كونت صداقات متنوعة، فيما يعرف بصداقات زملاء الدراسة، وأنا أحاول أن أجدد هذه العلاقات بقدر الإمكان.

بعد إتمامي للشهادة الاعدادية، صدر القرار العشوائي الغبي بتوجيه الطلبة إلى معاهد فنية مهنية ومعاهد عسكرية!! وكان نصيبي، دون أن أدري، خاصة وأني كتبت في استمارة امتحان الشهادة الاعدادية أني أريد مواصلة الدراسة في مدرسة بنغازي الثانوية، لكن صدور هذا القرار ضرب عرض الحائط بكل أحلام الطلبة الذي كانوا يحاولون شق طريقهم والوصول للمرحلة الجامعية. لكن القرارات العشوائية الصادرة عن توجيهات القائد، قادتني إلى المعهد الزراعي في المرج، وما يفعل يا ترى ابن المدينة، في معهد زراعي مخصص جل منتسيبيه، لأبناء المزارعين في مناطق المرج وضواحيها، لكني قلت شر أهون من شر، أحسن من توجيه مباشر لكلية عسكرية، توكلت على الله وقمت بمحاولة في إدارة التعليم في بنغازي، عسى وعلى، أن يثمر شئ، لكن محاولتي باءت بالفشل، وكان رد المسؤول الثوري في الإدارة، لازم تطبق قرار التوجيه وتخدم الثورة في أي موقع! وكلام من هذا القبيل. غادرت المكان وقلت أجرب حظي مع المعهد الزراعي، ممكن يمنحوني ورقة تخلصني من هذه الورطة التي وجدت نفسي

فيها! ذهبت للمعهد الواقع في منطقة "العويلية" التابعة لمدينة المرج، ولحسن حظي لم يكن هناك مكان شاغر في المعهد، واستلمت إقرار يفيد بذلك، ورجعت إلى إدارة التعليم، على أمل الحصول على ملفي وشهادتي الاعدادية، لأقررمصيري بنفسي، وكان الرد من المسؤول سلبيا، ولم يكن لي أي واسطة ممكن تنفعني!

بعد أيام قرات في أحد الصحف اليومية إعلان عن قبول طلبة للمعهد التجاري الفني في البيضاء، عزمت الأمر ومشيت مع شقيقي سعد بسيارته البيجو إلى هناك، لتقديم طلب والحصول على موافقة لتقديمها لإدارة التعليم في بنغازي، التي ستبعث بطلب استرداد ملفي من الإدارة العامة في طرابلس! باختصار، من هنا تبدأ خرافة أم بسيسي، المهم لا أطيل عليكم، بت ليلتي هناك كيفما كان في غرفة أحد الطلبة القدامى في المعهد وهو من بنغازي، وفي الصباح كانت المفأجاة في انتظاري (وكما يقول المثل، رضيت بالهم والهم مش راضي بيا)، كانت إجابة مدير المعهد.. لامكان شاغر هنا لأي طالب، وأعطاني مشكورا إقرار يفيد بذلك، لملمت حاجياتي البسيطة وأوراقي في شنطة صغيرة "صاكو" صغير، واتجهت صوب محطة سيارات الأجرة" البيجو "المتجة إلى بنغازي، دفعت الأجرة المقررة، ركبت السيارة وطوال الطريق كان ذهني شاردا في الطريق الممتد، أفكر ما هو مصيري، وكيف سيكون مستقبلي والأيام والعام الدراسي بدأ، وأنا حتى هذه اللحظة، لا أعرف أين ستقودني هذه القرارات العشوائية! المهم، وصلت بنغازي، وبعد يومين قلت أجرب حظي مع إدارة تعليم بنغازي مرة أخرى، ربما تنفتح الأبواب أمامي، ذهبت لمسؤول بإدارة التعليم بالمجمع الحكومي في بنغازي، وعرضت عليه الأمر،

اجابني إجابة صريحة واضحة، أنا لا أستطيع أن أفعل لك شئ، شوفلك أي معهد مهني وامشي سجل فيه، لكن مدرسة بنغازي شهداء يناير الثانوية لا تحلم بها مرة أخرى! وكانت الصدمة الكبرى، ماذا عساى أن أفعل وكيف أدبر نفسي؟ طوال هذه الفترة طرقت كل الأبواب، ولم أفقد أي أمل في الخروج من هذه الورطة. أثناء تجوالي في المدينة، التقيت مصادفة بأحد الأصدقاء، سألته عن حاله وأحواله،فقال لي أنه التحق بالمعهد التجاري في بنغازي، وأنه يمكنني الالتحاق أنا كذلك، ثاني يوم وجدت نفسي في داخل إدارة المعهد أقدم

أوراقي، تم قبولي، وهناك وجدت الكثير من الطلبة من نفس حالتي (الموجهون قسريا إلى معاهد فنية) وبدأت الدراسة، ومكثت هناك عام واحد، وفي السنة الثانية بدأت عمليات المطاردة من الشرطة العسكرية للطلبة لتجنيدهم في حروب القذافي الفاشلة في أوغندا وتشاد، وهنا اتخذت قرارا حاسما بمغادرة البلاد، حتى ولو بطريقة غير قانونية، لأن نظام التأشيرة الليبية الذي كان معمول به آنذاك، يتطلب حصول أي طالب على تأشيرة للخروج، وهو ما كان حلما صعب المنال!

نجوت مرتين من عمليات المطاردة والقبض في الساحات العامة والملاعب، ومن عمليات التغرير بالطلبة في المدارس، (بركوب العسكرية وبكره تكون ظابط كبير ونبعتوك دورة للخارج)، وغير ذلك من الأساليب الأفعوانية الماكرة. المرة الأولى التي نجوت فيها كانت أمام سينما ريكس، حيث أحاطت قوات كبيرة من الشرطة العسكرية بمخارج أبواب السينما، والقبض على كل شاب صغير ووضعه في سيارات واتوبيسات معدة لذلك، وكان ذلك بعد الحرب القصيرة التي جرت على الحدود بين مصر

وليبيا. خرجت مثل غيري من الباب. فاستقبلني عند الخروج أحد ضباط الشرطة العسكرية المكلفين بالقبض على الطلبة. وسألني سؤال واحد محدد. أنت في سنة كم تقرأ؟ قلت له: ثالثة اعدادي. قال لي بتهكم.. عز الطلب..!! ثم اتجه بكلامه ناحية أحد الجنود في الجهة المقابلة. في حديقة بنغازي الكبيرة. وقال... أمسك ما جاك. وتركني في حالي.. اتجهت ناحية الجندي المشار اليه. لكنه ولحسن حظي كان مشغولا بأمر آخر. ولم ينتبه لي. استغليت الفرصة الذهبية التي تطرق باب المرء لمرة واحدة. ومشيت في الاتجاه المخالف. ناحية ميدان الشجرة. القريب من بيتي. دون أن يحس بي أحد. ووصلت بيتنا. وأنا أتلفت ورائي عسى أن يكون أحد من عسس السلطان خلفي!! وبعد مدة علمت أن عدد كبير ممن كانوا معي في السينما. تم تجميلهم إلى المعسكرات المختلفة. وإلى جبهة حرب ليبيا ومصر على عجل! ومنهم من قضى نحبه في تشاد! ومنهم من استمر في خدمة العسكرية حتى وقت قريب!!.

وأما حكاية النجاة الثانية من مخالب دوريات القبض والمداهمة العسكرية. فكان في أثناء المباراة الشهيرة والتي يعرف حكايتها كل سكان بنغازي. وخاصة وأن المباراة كانت منقولة على الهواء مباشرة!! فقد شنت ما يسمى بالشرطة العسكرية هجمات على ملاعب كرة القدم لخطف الشباب وضمهم بالقوة للخدمة الإلزامية والزج بهم بساحات المعارك على الحدود الشرقية. وكان ملعب المدينة الرياضية الذي يستضيف مباراة النصر مع الهلال في الموسم الرياضي 78/77. ساحة للمغامرات والتصرفات التي راح ضحيتها الكثير من الشباب الذين ضاع مستقبلهم ووجدوا أنفسهم. وقد تحولوا من جماهير رياضية جاءت

لتستمتع بمشاهدة مباراة وأمسية كروية على المدرجات، إلى جنود في ساحات وجبهات القتال. ومنذ ذلك اليوم لم تطأ قدم الملعب أحد من الجماهير الرياضية تخوفا من هجمات أخرى على مدرجات الملاعب وتكرار نفس المأساة.

بدأت هجمة قوات الشرطة العسكرية على المدرجات الشرقية الواقعة في الجهة القريبة من نادي النصر (تقاطع السيلس وشارع جمال عبد الناصر)، أي من المتواجد فيها جمهور النصر، وكنا نحن ولحسن الحظ، ودعوات أمي الطيبة، نجلس في المدرجات المقابلة في الجهة الغربية من ملعب المدينة الرياضية، حيث يتجمع جمهور نادي الهلال، واثناء متابعتنا لأحداث المباراة، لاحظنا هرج ومرج في المدرجات والناس تهرب في كل الاتجاهات، أثناء مطاردة كلاب القذافي لهم! على الفور وبدون أدنى تفكير، اتجهنا مباشرة إلى الباب الخارجي للملعب، وأثناء محاولتنا الخروج بشكل مندفع وقع الكثيرون على الأرض، وتم دهسهم بالأقدام، واستطاع عدد كبير من الخروج في اللحظة المناسبة، والتوقيت السليم قبل وصول قوات الشرطة العسكرية، وبقي الكثير منهم محاصرين داخل الملعب، وقضى آخرين ليلتهم مختبئين تحت مدرجات الملعب في خزان تصريف المياه مع الجرذان والرائحة الكريهة..

استطعت مع آخرين الخروج من الملعب، بينما قوة الشرطة العسكرية، تتجه نحونا شاهرة أسلحتها، كل هذا لم يثنينا عن مواصلة الهروب، لأن الوقوع في أيديهم يعني نهاية كل أحلامنا في حياة طبيعية مثل باقي البشر! استمرينا في تجاوز كل الموانع المائية المحيطة بالمدينة الرياضية، بجدارة يحسد عليها، بينما قوات الشرطة العسكرية تطلق النار في

الهواء لتخويفنا ومنعنا من مواصلة المسير، لكن هيهات. واصلنا طريقنا، من ناحية الملعب الجانبي، في الطريق خلف محطة الكهرباء، أو مايعرف بمحطة النور، ومن هناك قمنا بالالتفاف على البحيرة، واتجهنا إلى أن وصلنا إلى مفوضية الكشافة، حتى وصلنا إلى بر الأمان، عند ميدان الشجرة، حيث التقطت أنفاسي في مكتب التوكيلات التجارية الذي يديره إخوتي (منصور وسعد وعلي)، وحكيت لهم قصتي من البداية للنهاية. ومنذ ذلك اليوم نسيت شيء اسمه مدينة رياضية، كوره، نادي الهلال.

في بداية عام 1978، التقيت مصادفة عند كشك الجرائد الملاصق للمجمع الحكومي، بالمرحوم جمال العروية، وأثناء تبادلنا لأطراف الحديث، أخبرني بأن هناك إعلان عن دورة تدريبية لشركة البريد والاتصالات، يرسل بموجبها طلاب من المرحلة الاعدادية للدراسة في اليونان، بعد اجتياز امتحان القبول ودورة مصغرة في معهد البريد بمدينة البيضاء. ودعته وفي اليوم التالي ذهبت للاستفسار عن الدورة ومعرفة شروط القبول فيها. وباعتبار أن ابن خالي عبد الله شحات، سبق له الدراسة في اليونان بهذه الطريقة، فقمت بسؤاله وعندما وضح لي الامر،عزمت على التقدم للدورة وجهزت أوراقي، وهي فرصة ثمينة لا تعوض لو تم قبولي، وهو نوع من أنواع الهروب إلى مكان آمن بعيدا عن شرطة القذافي العسكرية، ومعاركه وحروبه الفاشلة، التي دفع فيها شباب ليبيا أرواحهم.

قدمت أوراقي وتم قبولي بعد اجتيازي امتحان شفوي وتحريري في مكتب بريد بنغازي،وتم إرسال أوراقنا إلى وزارة المواصلات في طرابلس، وتم تحديد موعد الذهاب إلى مدينة البيضاء، شرق ليبيا، والتي تبعد عن مدينة بنغازي بـ 200كلم، والمعروفة ببرودة طقسها في الشتاء. جهزت

شنطتي وعباءة حمراء من الصوف!! وتوكلت على الله برفقة ابن خالي عبد الله شحات، الذي تركني هناك ورجع إلى بنغازي. مكثت هناك أجمل ستة شهور في القسم الداخلي لمعهد البريد (معهد الاتصالات الوحيد في ليبيا) بإدارة، الورفلي، ومجموعة طيبة من أبناء البيضاء. كانت الدراسة جيدة جدا، والمنهج ممتاز والإقامة في المكان به تدفئة كافية، لأن جو البيضاء كما هو معروف بارد جدا، ومع هذا أحضرت معي "جبت معايا" عباءة صوف حمراء، من الذي أوصي بيها لقمان. والأكل كان في المطعم، تبي تاكل جاهز باهي، تبي تاخذ معاك واتطيب أنت في الكوجينة خوذ، أما أجواء مدينة البيضاء فالطبيعة خلابة، والناس طيبين. وهناك كانت فرصة للالتقاء بطلاب من كافة أنحاء ليبيا من شرقها وغربها، وبالصدفة كان معي في نفس الغرفة طالب أمازيغي من (وازن) على الحدود الليبية التونسية، وأول مرة أعرف أنه يتكلم لهجة مختلفة عني، عندما ذهبنا سوية لمكتب البريد للاتصال بأهله، وسمعته يتكلم بلهجة مختلفة وعندما سألته بدافع الفضول، قال لي أنا أمازيغي، ذكر لي اسم بلدته النائية، لم أعرفها، فبحثت عن خريطة كبيرة تحوي مدن وقرى ليبيا، لأتبين الأمر.. فوجدتها بلدة صغيرة على الحدود مع تونس.

في معهد البريد بمدينة البيضاء، كنت برفقة أصدقاء أعزاء، ما زلنا نحتفظ بصداقات مودة حتي اليوم، (صلاح الغول، مصطفى الطراح، صالح الشريف، علي الفسي، عوض بن جويرف. للدراسة في اليونان، في مارس 1980، بعد أن تحصلت على بطاقة تأجيل من التجنيد الإلزامي، حتى الانتهاء من الدورة ومدتها عامان. تخرجنا كفنيين اتصالات راديو، ورجع من رجع للبلاد، ومكثت أنا في اليونان، لأرجع بعد سنوات طويلة،

عملت فيها في الصحافة العربية هناك (الحوار وصوت الناس،بانوراما والضفتان). بعد هذه الإستراحة القصيرة نرجع إلى روايتنا، أو سردنا للأحداث التي مررت بها، ومرت بها بلادنا ليبيا ويا لها من أحداث..

كانَ أسوأ ما في المدرسة في المرحلة الابتدائية، إذا تأخرت عن حضور الطابور الصباحي لأي سبب من الأسباب (النهوض متأخرا، ....) العقاب البدني ، متمثلاً بالجلد على الأيدي بالعصا، وما على التلميذ الذي ينزل عليه العقاب إلاّ أن يمدّ يده لتلقي الجلدات. خمس جلدات. عشر جلدات، وكانت الخيزرانة الملساء تفعل فعلها حتّى تدمي يدي مَن نالهُ العقاب. بعض المعلمين كان يتفنن في العقاب، ويأتي بعددٍ من أقلام الرصاص ويوزعها بينَ الأصابع ثمّ يضغط عليها. أما كمية الألم فلا حدّ لها..

وكانَ أبائنا، ومنهم أبي مصراً رغم خوفي على توصيلي بدراجته في اليوم الأول لدخولي مدرسة اللواحي الابتدائية، ليزيل خوفي أنْ لا أنقطع عن المدرسة.

وبعد انتهاء اليوم الدراسي بالمدرسة كان علينا الذهاب بعد الظهر ألى الكتاب في جامع العقيب مع (الفقي حمد)، وجامع السنوسية مع (الفقي عمران). كنا نجلس أمام الفقي، نفترش جميعا الحصير، نردد وراءه الآيات التي علينا حفظها، ويتم التسميع في اليوم التالي، والذي يخطىء في تسميع الآيات، تهوي عصا الفقي على رأسه أو كتفه، فاذا كرر الخطأ يتم مد رجليه على الحصير، ويقوم أحد التلاميذ الأكبر سنا والأثقل وزنا برفع رجلي المعاقب ويشل حركة جسمه، لينهال الفقي على قدميه حتى يكاد يدميهما، وهو ما يعرف بالفلقة، رغم كل هذا فقد استطعت حفظ جزء لابأس به من القرآن هو جزء عم.

يوم الخميس عندما نخرج مبكرين من الكتاب ننشد في فرح. (سلم سيدي سرحنا.. حط اعظامه في الجنة!) حتى نصل إلى بيوتنا.

كنت أنام في طفولتي مع باقي إخوتي في غرفة واحدة على الأرض في بيت عربي (مجاور لبيتنا القديم) فيه عدة حجرات وسقيفة، ووسط حوش كبير، وبئر مياه، في انتظار بناء عمارة في مكان بيتنا القديم، الذي انتقلنا إليها لاحقا، وهي عبارة عن عمارة مكونة من طابقين ودور أرضي وسطوح، مزود بكل شيء عصري حتى التكييف.

كنا في أيام الشتاء نجتمع جميعا حول كانون النار للتدفئة، وإعداد اللوز والكاكاوية ونسمع الحكايات والخرافات، المليئة بالمثل والقيم والموروثات الشعبية، وكذلك نسمع الألغاز الشعبية، يا حزارك يا مزارك. أمبارح شن تعشى احمارك. وخرافة أم بسيسي، وغيرها.

كنا نأكل في صحن خشبي واحد، يعرف بالقصعة وملاحق خشب تعرف بكواشيك اللوح، لا أحد يعترض على نوع الأكل، فالبركة في الموجود،هناك أكلات شتوية وصيفية، مثل الحسا، والشرمولة والمقطع والدشيشة، والمحمصة، والحرويسة مع اللفت، والمكرونة والرز الجاري مع الفلفل الحار الأحمر المبطبط، والمكرونة المبوخة والرشدة والفتات والكسكسى، والفاصوليا بالكرشة والحرايمي وروؤس الغنم وأرجل (كرعين) البقر، والعصبان والمحشي، والعصيدة بالسمن، وفي رمضان الشربة والبطاطا المبطنة والبراك، وإعداد كل هذا يتم على (البابور مع اليبرة) أو ماكان يعرف في ذلك الوقت بـ (سبيريتيريا).

طفولتنا كانت طفولة بريئة نلعب ونمرح ملابس بسيطة ليست متسخة، لكن ممكن أن يكون السروال مليئ بالرقاع التي تغطي الثقوب،

التي أصبحت موضة في بنطلونات الشباب في أيامنا هذه. خاصة في منطقة الركبة من أثر الوقوع في الأرض أثناء لعب الكرة في الشارع.

كنا لانتردد في الوقوف تحت ميزاب مياه الأمطار في فصل الشتاء، عندما تهطل الأمطار، ونظل نلعب في الشارع فرحين مستمتعين، أو عندما كنا نجري خلف سيارة رش الحشرات بالفليت "دي دي تي"..

ولدت لأسرة مكونة من أب وأم وخمسة من الذكور، وثلاثة من الإناث، ليست بالفقيرة ولا بالغنية، بل ميسورة الحال شأنها شأن السواد الأعظم من الليبين عندئـــذ. كـــان أبي تاجرا يدير وكالة تجارية، أسسها في بداية خمسينات القرن الماضي، بعد استقلال ليبيا مباشرة، متعلم، يتقن الإيطالية قراءة وكتابة، ويلبس عادة الملابس الإفرنجية، ومرات قليلة الجلباب، أو الجلابية، وغطاء الرأس الأبيض، أو ما يعرف بـ" المعرقة".

لم يعمل أبي كما روى لي أخي الأكبر، في أي من دوائر الحكومة، رغم معرفته واتصاله بأغلب المسؤولين بالحكومات المتعاقبة، بل اتجه منذ صغره للعمل الخاص، وكان يدير مطحنة حبوب في قرية البردي شرق ليبيا، وقد اختار هذا المكان، بسبب وفرة إنتاج الحبوب مثل القمح والشعير بها، ثم أسس لاحقا في بنغازي، مع شخص من عائلة الترهوني، مطحنة للكركم، والفلفل بالقرب من مصنع بادي للمكرونة بشارع الشريف.

غادر أبي الحياة مبكرا وأنا في سن العاشرة، وتحمل المسؤولية بعده نحو إخوتي وأخواتي، شقيقي (سعد) الذي نهض بالعائلة، وواصل مسيرة والدي في التجارة، بمساعدة شقيقي منصور الذي كان قد التحق بالجيش عام 1967،مع مجموعة من شباب المنطقة الذين تأثروا بنكسة 5 يونيو، أو ما عرف بـ "حرب الأيام الستة". واستمرت العائلة في هذا

النشاط التجاري الخاص، ولم ينخرط أي منا في العمل الحكومي (وظيفة أو غيرها) حتى تم تأميم التّجارة، وتضييق الخناق على أصحاب القطاع الخاص، فصدر القانون المشؤوم الذي أوقف العمل برخص الوكالات التّجاريّة، حيث أصبحت مزاولة هذا النشاط بعد هذا القانون حكراً على الدولة فحسب ولا أحد سواها، فاضطر أخي سعد إلى مغادرة البلاد إلى اليونان لمزاولة النشاط التجاري هناك، وافتتح أخي الأكبر منصور محل لبيع الأدوات المنزلية، استمر لسنوات قصيرة ولم يسلم هو الآخر من القرارات والقوانين الظالمة، فقد صدر قانون في عام 1979 أمّمت بموجبه المحلات التجاريّة، وأصبحت التجارة منذئذ يديرها موظفون يتبعون أجهزة الدّولة مُبَاشَرَة.

لكن أتذكر أشياء كثيرة عن والديّ، كان يعطيني مفتاح صندوق البريد في مكتب البريد الذي نقل مؤقتا من شارع عمر المختار (مقره الحالي) إلى شارع ادريان بلنت، (دبلوماسي هولندي، كان مبعوثا من الأمم المتحدة، ولعب دورا مهما في استقلال ليبيا) لأحضر الرسائل القادمة من خارج ليبيا، وعلى اعتبار أن صندوق البريد كان مرتفعا قليلا، أنتظر حتى يحضر صاحب صندوق بريد، وأطلب منه فتح الصندوق وأتناول الرسائل وأحضر مسرعا فرحا بالإنجاز الذي حققته..

وكان عندما يعطيني مصروفي وهو قرش أحمر، أذهب مباشرة لكشك الجرائد لاقتني جريدة برقة الجديدة، وعندما أحضر وفي يدي الجريدة يقول لمن حوله "أهو جاء الأستاذ.. فأشعر بالغبطة والسرور".

كان يأخذني أنا وشقيقي علي لنذهب لقص الشعر عند حلاق بن جميعه في شارع سيدي سالم، وهوالشارع الذي اختفى من الوجود.

وكانت لنا فيه ذكريات جميلة، من هذا الشارع كنا نتردد على محل العفاس لنشتري كنادر الكورة والكاويشات والفانلات وغيرها من لوازم الكوره، ومنه نشتري السفنز والزلابية والمخاريق من السنفاز التونسي.

كان لي سيد (عم) واحد أسمه فرج، يعمل في صناعة تجارة الخشب، مع الإدارة العسكرية البريطانية، التي كانت متواجدة في مقر المباحث الجنائية سابقا، الذي يقابل مدرسة شهداء يناير بشارع جمال عبد الناصر. لم ينجب عمي أطفالا ذكورا، ولهذا كنا نناديه بـ (باتي فرج)، تعويضا له عن هذا ربما! وكان لي أربع خالات، مسعودة، وريده،أم الخير، رجعة، وثلاث عمات فاطمة وعيشة وخويرة، وكانت الأخيرة أقربهن إلى قلبي، لأنها تهتم بي وترعاني وتعطيني حلوة (الشاكار). ولي اثنين من الأخوال فرج محمد شحات، يرحمه الله، ومنصور محمد شحات، أطال الله في عمره.

ولا أستطيع أن أنسى فاطمة بنت الهري، الشهيرة بـ فاطمة الزغيبية، (زوجة سيدي فرج)، ولا الحنونة زكية (بنت سيدي فرج)، أم باسط وعوض وحليمة العود.

في شارعنا (العقيب)، كان هناك مجموعة من الدكاكين، بقالة محمد المصراتي، بقالة مصطفى المطماطي، وحل محله بعد ذلك سي خليفة المصراتي، محمود الاوجلي، ارخيص الضراط، سي سالم المحجوب وشوكولاته قرشين، سي علي بودجاجة، في شوكة العقيب محل رجب التركي والجبنة الحمراء، جزارة عبد اللطيف التومي وجزارة الفاخري، مطعم سي حسين وأشهى ساندوتش كبدة، ومحل بقالة اشهر اهلاوي (عبد السلام غباقة)، وعلى بعد أمتار منه مطحن قهوة

(اندريا سوركوس) الرقريقي (اليوناني).الذي تزوج من امرأة ليبية وأنجب منها ابنه (فرج)، وأحلى فاكهة من محل عباس.الذي مات مغدورا، عندما قتل على يد شخص مصري داخل متجره.دون أن يشعر أي من الجيران بالجريمة، وكان هناك محل ملابس وخردوات، المطرب صاحب الصوت الدافئ عمر المخزومي، الذي تم اعدامه شنقا بميناء بنغازي، وتصوير الخرائط عند عوض شتوان (خريطة)، ومكتبة النسر الذهبي لأبناء المهدي بوزيد، مكواجي علي التركي، خياط محمد الامين، مكتبة حسن الخراز،وكوشة عبيد الشاعري، ومصطفى بوجازية (الدكتور)، وخليفة البابور، وفاترينة محلات يوسف كبلان لبيع التلفزيونات وهناك كنا نشاهد مباريات الكرة العالمية والمسلسلات الأمريكية (فيوري، والقديس).

ومرات كثيرة أذهب أنا وأخي علي للتفرج على التلفزيون عند المرحوم سي حسن المساك وزوجته (خدوجة) التي نقضي لها حاجاتها من السوق عندما يكون سي حسن في الشغل.. وكانت تعتبرنا مثل أبنائها، لأنها لم ترزق بأطفال.

استمرينا هكذا حتى دخل التلفزيون بيتنا لأول مرة في عام 68، تلفزيون كبير ماركة "أوبتا" اشترياه من محلات محمد كزم بميدان الشجرة، على شكل صندوق كبير له باب!.

مازلت أذكرذلك اليوم وكأنه الآن. وأخي الكبير منصور، يدخل من باب المنزل، ومن خلفه شخص يحمل علبة كرتون كبيرة. بدأ يفض غلافها. ليطل منها جهاز تليفزيون جديد. أعدت له الأسرة مكانا فسيحا في المربوعة.

وكان ذلك اليوم مشهد تاريخيا، أخذنا كلنا مكاننا أمامه وتسمرنا

منذ لحظة بداية برنامجه، وحتى إقفاله الساعة العاشرة ليلا! والقناة الليبية كانت واحدة قناة (5).

دخل هذا الضيف الجديد إلى بيتنا، واستقر فيه، ولم يبرحه حتى الآن. وأصبح فردا من العائلة نجلس حوله ونستمع له. وعيوننا مصوبة إليه نشاهد العجب. ونزهوا بوجوده بين الجيران والأصدقاء، الذين كان بعضهم يأتي لبيتنا لمشاهدته، وقلة الذين كان لديهم أجهزة تلفزيون آنذاك، وشيئا فشيئا بدا ينتشر في البيوت وأخذ مكان الإذاعة من حيث اهتمام الناس.

كنا نقضي وقتنا في النهارفي لعب الكورة والبطش وهو عبارة عن كرات زجاجية مدورة صغيرة، والزغادي، وهي أداة خشبية تدور على حافة مسمار، وفي الليل الأمسيات عند عتبة حوش خالتي (برقة)، (وهي امراة سمراء اللون كانت تعيش مع أختها، وكانت تمارس التطبيب بالأعشاب الطبيعية)، في الوسعاية التي تربط شارعي العقيب والحشر، والتمتع بحكايات أفلام السينما، وممارسة الألعاب الشعبية الليبرة والوابيس.

لم يخلو الأمر من مشاحنات ومعارك وصراعات طفولية تحدث عادة بعد انتهاء مباراة في كرة القدم،أو الألعاب الشعبية، فيكون هنك مشاحنات وعراك تستخدم فيه الضرب بالرأس والمقبض، (دماغات وأبواني)، ورمي الحجارة (أحداف بالحيط)، وهضا ينفجخ وهضا ينحل راسه، وجيبوا التنتوره الحمرا، والقهوة يحطوها على الجرح، ويمشي الموضوع وبكره يلعبوا مع بعض وكأن شي لم يحدث.

يوم الجمعة وخاصة في الربيع عادة ما نذهب في نزهة عائلية (زردة) إلى سيدي مرعي في منطقة جردينة، بعد الانطلاق بالقطار (بابور السكة) من سكة حديد ما يعرف بـ (الفراوية)، وعند العودة في القطار وسط

الحقول نردد أغنية (مشينا وجينا سالمين. بركة ربي العالمين!.). بينما الكلب السلوقي يركض خلف القطار بطئ السرعة. أو نزرد مع الأصدقاء للبوسكو، أو عقبة البكور، أو حقول القوارشة. في سنوات السبعينات الأخيرة كنا نقوم برحلات عائلية تضمنا مع أقاربي.

عمتي خويرة وبنت سيدي زكية وأولادهما، نقضي فيها أسبوع ممتع جميع في أحضان الجبل الأخضر وبالتحديد في شحات ورأس الهلال وسوسة. كانت أيام جميلة لا تنسى، قبل أن يعم الخراب بتلك المناطق في بداية الثمانيينيات، بعد توقف النشاط التجاري في البلاد..

كانت البنات وحتى سن معينة تلعب معنا في الشارع، ألعابا مختلفة عنا بعض الشيء مثل، العرايس، القيران "البرانجية والصينية"، النقيزة، الداليا، الواحواح، كمادي كمادي، "الغدا طاب والا مازال" والحبل كارو كاليص عربية، شنطة قلم محاية، باب حديد اطلع من هانا، وهاضا شنو كريكما. ألعاب عفوية بسيطة جميلة، مليئة بالبهجة والفرح.

كان هناك عادة أو تقليد قبيح وهو أن تتحجب البنت (لاتذهب للمدرسة ولا تبارح البيت) عندما تنتهي من المرحلة الإعدادية، أو المرحلة الابتدائية، عند بعض العائلات، لكن إذا تجاوزت هذه المرحلة ودخلت المرحلة الثانوية والجامعة، فهناك كان ارتداء الفساتين القصيرة أمرا عاديا بين طالبات الجامعة، ولم يكن هناك تحرش ولا يحزنون، قبل أن يتم فرض الزي الجامعي.

كان شارعنا مقارنة بباقي الشوارع يعتبر شارع رئيسي لأنه يربط ميدان الشجرة، بميدان سوق الحوت، ومنه تتفرع شوارع أخرى وأزقة، وكـــانت البيوت في الشوارع الأخرى عبارة عن حوش عربي كبير، يطلق عليه "حوش سكال" ممكن أن تسكن فيه أكثر من عائلة واحدة، كل عائلة

في دار ويتقاسمون الحمام أو المرحاض، أو ما يعرف بـ (الكنيف) أو بيت الراحة!! وتشترك البيوت معظمها فى خلوها من المياه والصرف الصحى، كان الحصول على مياه صالحة للشرب يأتي بواسطة ما عرف بالوراد، الذي يجلب المياه من (شيشمة سيدي حسين) في عربة تجرها الخيول، أو البغال، ويصبها في خزان للمياه كان موجودا في كل بيت، أو الاستعانة بما يعرف بالماجن، الذي تجمع فيه مياه الأمطار، ومنه للزير، ومن الزير للجرة التي كانت بمثابة إبريق هذه الأيام.

وكان الوراد يتقاضى بضعة قروش نظير ذلك الخدمة، واستمر هذا الحال، حتى تم توصيل خدمة المياه إلى البيوت عن طريق البلدية. ووصلت الحنفيات أو الشيشمات إلى كل البيوت.

وكان لكل بيت خزان خاص تحت الأرض يتجمع فيه الصرف، حتى إذا استأجر السكان عربة كشح لنقل محتويات الخزان لقاء أجر بسيط.

أما الكهرباء، فكانت البيوت تنار بلمبات الجاز (فتيلة)، ولهذا قبل دخول الكهربا، كانت عملية الاستحمام تتم بواسطة، تسخين المياه على البابور، ثم يدخل الشخص فى ما يعرف بـ (الليان) وهو إناء من القصدير وتصب الماء الدافئ على كامل جسمك.

كان هناك عمود نور (ضي) بالقرب من مسكننا، وبالتحديد في تقاطع شارعي العقيب و طرابلس ، يحضر عامل من البلدية على دراجة (بشكليطة)، وبيده عصى طويلة، ينير بها المصباح العمومي (اللمبة) عند بداية غروب الشمس، ونأتي نحن، الأصدقاء والجيران، نتسامر على ضوئها، حتى ساعة معينة، وإذا تأخرنا عن موعد الإياب للبيوت قد نأكل طريحة كويسة!!.

وكانت الحياة فى حوش السكان يكتنفها نوعاً من الروابط الاجتماعية بين سكان البيت الواحد، بل وسكان الشارع والمنطقة عموما، فهم يعرفون تفاصيل حياة بعضهم البعض، إذا مرض أحد يتنادى الجميع، وإذا كان هناك مناسبة سعيدة أو حزينة يتنادى الجميع لتقديم الخدمات، والجميع لا يفوته واجب عيادة المرضى، وتقديم التهانى فى الأفراح والتعازي فى الأتراح.

لذلك كان سكان شوارع وسط المدينة يعيشون معاً وكأنهم أسرة واحدة، وكأنهم يأكلون من طبق واحد، وكانوا يتبادلون أطباق الطعام والحلويات بشكل يومي.

وكانت النسوة يتبادلن إرضاع أطفال بعضهن البعض، بل ورعاية أطفال بعضهن البعض، إذا اضطرت إحدى الأمهات إلى السفر أو المرض، وغير ذلك من الظروف الاجتماعية.

كان جامع العقيب مقصد السكان لأداء الصلاة، وكان الجميع يحرص على أداء الصلوات في ذلك الجامع، خاصة الصائمون في شهر رمضان، حيث يؤدون صلاة العصر فى الجامع حتى يرفع أذان المغرب، فيفطر الصائمون على تمر يوزعه المصلين، ويؤدون صلاة المغرب ثم يعودون إلى بيوتهم لتناول طعام الإفطار مع أفراد عائلتهم.

ومازالت ذاكرتي تحتفظ بصورة بعض الشخصيات والأماكن التي حفرت في مخيلتي إلى اليوم، مثل، كوشة عبيد الشاعري، وعربة جيلاتي سي عثمان تربل، الذي يخرج باردا مثلجا من معمله المقام اسفل عمارته بشارع محمد موسى، وهي العمارة التي تسكنها الآن أختي رجعة وبناتها وولدها الوحيد، وسي رجب السكليسته، وسي (علي) كناس الشارع،وخليفة

البابور وشناباته اللي يصبي عليها الطير، والتاجر الأمين سالم محجوب بوكر، وخراز الكنادر، محمد بوراوي ورائحة الكولة المنبعثة من الدكان، والتوبيستا، بوبكر، والفاره الطول، حسن تربل! الرياضي متعدد المواهب، وأمام الجامع، الفقي أحميد الزيداني، والرجل الطيب، فتاح بن هلوم، وأمام المحلة، سالم بن صويد، والرجل الصامت، سي عبد القادر الفزاني، والمكافح إبراهيم بن سعود، صاحب ورشة النجارة، الذي يعمل بجد وصمت، والهلالي حتى النخاع، السنوسي قيني، والإخوة محمد ومصطفى التركي، وسي علي الاوجلي" الشنة"، يرحمه الله، والطاسة الخضراء والحمراء المربربة، ديما عالنار!، والأسمر الجميل،سالم أشطيب الشيخي،والمؤدب، عادل بن أجليل، وعز الشباب، سالم الدراجي، وسي الصالحين، في كوشة شارع محمد موسى، والقنان طاح في العين!.

وعيت رضوان، وعيت القرقوري، والميكانيكي مانولي اليوناني، ورمضان الورفلي، وعيت الشركسي، وعيت المذبل، وسي تربل والجولاطي، وعيت المطردي،وعيت اطوير، وعيت بوجازية، وعيت عمران التركي، والخياط الكيال، وحسن كرشة لاعب الهلال،وعبد الرازق زينوبة، وبائع الألعاب خليل بن سعود،وفاطمة الغريانية، وفرج الحوتي، وفرج بوزيد،والحلاق رضوان، ورجل البوليس بلعيد امسيويط، وناجي الزواري، وحامد الحضيري، وعلي بودجاجة، وبائع لوازم الخياطه، سالم البدويني، الذي رحل عن الدنيا، وخياط الملابس، سي بشير الزاوي، والمصري القبطي، شنودة، والحلاق المصري، حوده، والخياط المالطي دينو، الذي عمل عند محل عبد السلام افطنة، والعصامي، فرج بوجازية صاحب محلات الملابس الشهيرة، وولد لبلاد الاصيل (مصطفى بوجازية، الشهير بالدكتور)، وعلي وسعيد ومحمود الدراجي وسيارة

الفولكس واجن، والإخوة صالح وسالم بوسن، ملوك الوسعاية، وعيت قريدبو وعيت بورويلة وعيت بسيكري (درمينا)، عيت كدوم، وعيت الحداد، أقدوره وعيت كريمش (جمعة وسليمان) والصادق كريميش،عيت العربي حسن وعلي وسليم، الاخوة المحرصي، الخازمي والترهوني، اعبيده النعاس، اسطى الكورة (والاخوة كمال وفتحي الدرناوي)، عبد السلام الدراجي، الشاعر عيت خماخم، عيت العبار، سعيد ويونس وهاشم وسالم ومحمد، وابنهم منصور فنان الكورة الذي ظل طريقه عن ملاعب المشاهير، عيت بن عموره، عيت الجحاوي، وعيت أخليف، وعيت عابد، وعيت امسيويط، عيت اسكيليل، ناس في حالهم، عيت الزيداني، عيت اسحيم، عيت الدراجي، عيت بوجازية، عيت الشكماك، عيت برنيه، عيت الهري، عيت منينه، عيت البقلول، وعيت الكيخيا، عيت قيني، عيت التشنه،عيت الحداد (محمد وابراهيم، وبيدا الحداد، وبشكليطته العتيقة التي تتحدى الزمن! عمتي غالية الحداد، التي تصنع ميه الزهر والورد في سقيفة بيتها مع بناتها، عمك طرخان بطربوشه التركي في الركينة (نهاية شارع قصر حمد)، يبيع البقول، وسط اقفاص الطيور، وسي سعيد بوعشرين، والفول والطعمية على الطريقة المصرية، وبحيري في الكشك الملاصق لمبنى التأمين (السيقرياسيوني)، وتجمع الرياضيين وعشاق الرياضة، من ابناء القزيري، فرج الجازوي، الإنجليزي، أولاد قليده، وغيرهم، عربة توفيق حباق قدام

وكروسة سيدي عثمان تربل وهي تمر بالشارع، ينادي جولاطي، جولاطي، بنص قرش حمر، والزياني (معابيص) يحوم فوق بشكليطته في شوارع المدينة، ومنظر الجابية وطيور لاخليش على شجر ميدان سوق

الحوت، والجياد التي تجر العربيات، بأسرجتها والجمتها المزركشة وقد حجبت عيونها قطع من الجلد الأسود.

سينما برنيتشي مساءا وصباحا أمام مدرسة الأمير، والرجل الطيب، بابا سليم العربي ولد شارعنا، صديق الجميع في ديار جليانه، وسي عبد الله شقيفه في محل بيع طيور الزينة، وعلي شقيفه وأحسن بقال في المنطقة. ولا أستطيع ان انس شلة شارع مصراته وزواره، احميده وعصام بوكر، وعبد السلام وعلي وابراهيم وحسين وبوبكر واحميده الفلاح، ومادي وخالد تربل، وعلي التونسي، واحميده الدسكاني، وعكيز، وعلي زايد، ونجيب بادي، وعاشور وعبد السلام وعلي المجدوب، وفتحي وفوزي فطنه، وشلة شارع الحشر،ومقالب الثنائي (عزيز بورويله،الجبانيز، وعلي الزغيبي) وونيس الحداد، وبوبكر بوسن، وفتحي الساحلي والمهداوي التشنه، وعبد السلام قريدبو، وعقيله وعز الدين بسيكري، والدبرزي عدا لأمريكا، وشطانة عاشور وفرج الزغيبي أو كلاي وهو اللقب الذي أطلقه عليه والدي،وأشاعه مصطفى بوجازيه يرحمه الله، أو أكلينا، مثلما يناديه عثمان الصادق الورفلي.

والجردينو الكبير، والفراوية، وهي محطة تصليح القطارات، ومحطة القطارات (ستسيوني) ، وكوبري اللوح القديم بجوليانه، ونادي الهلال القديم في اندريان بلنت، ونادي النجمه فوق بقالة التركي في شوكة شارع العقيب، ونادي الأهلي فوق سينما البرنيتشي، مفوضية الكشافة، مصوراتي الفلاح، مصوراتي القوبو اليوناني، الكنيسة، محلات فرش الجريسي، مبنى مجلس الأمة والشيوخ، محل تحف اليوناني البنغازي (كاريذاكيس)، مركز المرور، مقهى طلوبة، مقهى دمشق، المقهى الرياضي،

وسي محمود الشامخ شامخا في مكانه خلف ماكينة الأسبريسو، حوش الكيخيا، حوش جربوع، حوش بسيكري وحوش الدرفيلي، صخور تكسير الأمواج أو ما يعرف بالسيكم (حيط السبعة والثمانية)، احذية عبد الصمد الأنيقة، منظر صيادو السمك الجالسين بالقرب من قهوة سي ميلاد، يلتقون مع بعض يشربون الشاي ويدخنون الشيشة، ودادا مسعودة، بائعة الفول النابت الساخن والكاكاوية، بالقرب منهم تنادي على بضاعتها الطازجة، والطاسة بقرش.

كان الواحد منا يطيل الوقوف فى مدخل سينما "البرنيتشي أو النهضة أو الحرية يتفحص الصور المعروضة فى الخارج، وأفلام ماشيستا وهرقل، وفريد شوقي مع محمود المليجي في عراك لا ينتهي، وماجده في دور جميلة بوحريد، واسماعيل ياسين، مرة في البحرية ومرة في الطيران، وأفلام الباندیتي والكوبوي، وأحيانا لا نتمكن من الدخول لعدم توفر مبلغ مالي لشراء تذكرة دخول(بوليت).

وليس هناك من طريقة إلا (خششني يا سيدي) أوتوفير شئ من المصروف، أو استثمار بعض القروش من الراتب الأسبوعي حيث كنت أعمل في مكتبة الخراز، ومرتبي (50 قرش في الاسبوع!) ومنها أذهب إلى السينما ونشري قرطاس زريعة ومشروب، وأوفر الباقي!!.أو إلى ملعب 24 ديسمبر لمشاهدة فريقي (الهلال).

مذ كانا صغارا وأمي حريصة على أن تعجن لنا الخبز كل يوم، (خبزة الحوش) تضع الدقيق وقليلا من حبيبات الخميرة والملح والقليل من زيت الزيتون، ثم ترش الماء ثم تفرك الخليط، الدقيق حتى يتماسك الخليط، ولا يلتصق، تقبض بيدها اليمنى وتبدأ في سحق العجين وتمغيطه بقوة

لتجذبه ناحيتها مجددا ثم تعاود الكرة، حتى يتماسك تماماً ويتحول إلى كرة بيضاء مدحاة. تغطي العجين بقطعة قماش تدفئه وتتركه حتى يختمر. تعود إليه وتتفقده من حين لآخر، تفتح عنه الغطاء حتى تجده وقد انتفخ وتضاعف حجمه، تبتسم له وتربت عليه برقة، تأخذه بين يديها، وتجعل منها أقراص مدورة على شكل فردة، وتضعها في الطبق، ثم ترش عليه السمسم،وتضع على كل فردة علامة مميزة، وأطير به فرحا الى كوشة (مخبز) سي الصالحين بشارع قصر حمد ولاحقا في شارع محمد موسى. بعد أن ضمنت أن الوالدة صنعت لي فردة صغيرة كنا نطلق عليها "خبزة القنان" مكافأة لي على حمل طبق الخبزة.

وقبل العيد الصغير، كانت أمي تحرص على صنع الكعك والغريبة، بمساعدة أخواتي البنات، وبعض من قريباتنا، وأقوم أنا، أو أحد إخوتي بحمل (أنشيل) الطواجين على رأسي لكوشة خميس في شارع مصراته، وأنتظر حتى يجيء دوري ويدخلن (ايخششهن) للكوشة، وأنا راجع بالكعك الطايب الساخن على رأسي، نحط قطعة من القماش (وزرة)، لأن الطاجين يكون ساخنا جدا، ولا يخلو الأمر من مداعبات، من بعض الأصدقاء والجيران، وأخذ بعض الكعكات من الطاجين أثناء سيري من الكوشة للحوش!!

كانت أمي شأنها شأن كل الأمهات الليبيات، تقوم بكل المهام المنزلية من غسل المواعين (الصحون) في المحبس الكبير(الليان)، وغسل الملابس بالصابون السوسي الأخضر، وتطبخ (تطهو) الأكل، على النار مباشرة، بواسطة المناصب (وهي عبارة عن ثلاث دعامات توضع تحت القِدر ليستوي)، ثم تطول الأمر إلى بابور الجاز، الذي كان عليا إحضاره

في صفيحة معدنية من شيل كانون (محطة بنزين) بالقرب من الديوان الملكي، ثم ظهر البوتاجاز الذي يعمل بالغاز.

كانت أمي مثلها مثل نساء بنغازي في تلك السنوات، تصنع كل احتياجات البيت بنفسها باستخدام أدواتها التقليدية،إذا لزم الأمر مثل الرحى للقمح والشعير، حيث تقوم الرحى بطحن تلك الحبوب التي هي عماد غذاء الناس في ذلك الوقت، لكي تسقط فيما يعرف بالرقعة المصنوعة من جلد شاه، ثم يأتي دور الغربال حيث يسقط اللين من الدقيق، ليصنع منه بازين الشعير، وعيش القمح والمجروش يصنع منه الكسكسى والدشيشة. وكانت أدوات الطهي في بيتنا هي عبارة عن القدر، ويصنع عادة من النحاس المطلي، وفيه يتم طهو كل المأكولات تقريبا، والكسكاس له ثقوب تسمح بتسرب البخار من الطنجرة، والتي في الغالب تصنع من من اللطام.

ومن أدوات المطبخ، البرمة وتصنع عادة من الفخار، وتستعمل لطهو الطعام، وهي أصغر من القدر، وقصعة اللوح التي يوضع فيها الطعام بعد اعداده، وغطا القصعة هو الطبق، ويصنع من ليف وسعف.

ولا غنى عن عدالة الشاهي في البيوت الليبية عموما، وهي تتكون من سخان وبراد وطواسي شاهي صغيرة، وسفرة اللومنيوم ونشاشة كانون الفحم، المصنوعة من السعف. ولشرب القهوة نحتاج إلى بكارج صغيرة وكبيرة، وفناجين. وكان يتوفر لدينا في المطبخ، المهراس لفصل قشور الحبوب قبل طحنها، والحماس وهو مصنوع من الحديد، وتحمس فيه القلية، والمسحان يستخدم لدق التوابل والبهارات، وهو مصنوع من الخشب، أو النحاس والطواجين التي تستخدم لطهي الأكل والحلويات.

كان أثاث البيت البنغازي بسيطا وهو عبارة عن حصير وتا زير للجلوس، قفة، لجلب لوازم البيت من خضرة وفاكهة، وجره لشرب الماء، إلى جانب صندوق أخضر خشبي، كانت أمي تضع فيه حاجاتها الخاصة، يسمى بصندوق "بورنه"، إلى جانب دولاب الملابس والشكماجة.

كانت أمي تشتري ملابسها واحتياجاتها المختلفة من بائعة (دلالة)، لا أتذكر اسمها، تطوف على البيوت، لبيع ما يهم النساء، بالأجل والتقسيط.، لأن مسألة خروج أمي للسوق لم يكن في الحسبان، مثلها مثل غيرها من النساء الليبيات، اللواتي لا شأن لهن في الدنيا إلا الحياة الأسرية، ومن بينهن من دخلت بيت الزوجية، ولم تخرج منه إلا إلى بيت أهلها، أو إلى بيت أقاربها عند بعض المتساهلين، وهن يشكلن الأغلبية لحسن الحظ.

كانت هوايتنا التي طغت علينا فترة الصبا هي كرة القدم، حيث الظروف الاجتماعية لاتسمح لنا بممارسة ألعاب أخرى، وكيف لا، ومن شارعنا خرج لاعبون من كل النوادي (احمد بن صويد، لعب في الأهلي، محمود بن هلوم في الأهلي، ونيس بورويله، عمر دومة، صالح بوجازية، عوض بن هلوم في الهلال، وفضل الله بن هلوم في النجمة، وكان الفضل لمنطقتنا أن تم تأسيس نادي الهلال،بين بيوتنا، وبالتحديد في شارع الحشر، ببيت المرحوم مصطفى بوستة، وكان أغلب المؤوسسين من منطقتنا، أمثال فتحي ومحجوب بوكر، عمران العرفي، سعيد العبار، فرج أسكيليل، وغيرهم من المغمورين..

كنا نمارس هذه اللعبة، ليل نهار في الوسعاية الفاصلة بين شارعي العقيب والحشر، وفي الملاعب والمدارس القريبة "مدرسة الأمير ومدرسة

شهداء يناير". وكان لكل حي ومنطقة فريق أو أكثر. وكان التنافس على أشده حتى بين فريق كل شارع. والفائز يتحصل على كيلو برتقال. نحرص على اختيار (حجم صغير من حبات البرتقال) لكي يكفي لكل أفراد الفريق الفائز!..

وكانت لنا هواية ركوب الدراجات (البشكليطات). وكنت أملك بشكليطة سبورت سريعة بدون فرينوات (فرامل)! والحامي هو الله!!..

وكان هناك الألعاب الموسمية مثل. البطش القلبا. الكيكس. الزغادي. الخوخرة والبير. دنفير. رتوبي وكركاشي. والطقيرة. اسكربيلو. طق طريق والتصاوير والمطلوب صورة البطل العيل الري. وابيس. الليبرا. حلة واخل.. حليب البل المحبة. الزناحة وغيرها من ألعاب البنات والصبيان التي انقرضت مع الأيام إلا في بعض المناطق الشعبية.

كنا نسرح ونمرح في سوق الظلام في بنغازي. وهناك يقابلنا أشهر الدلالين "الحاج المبروك الموهوب" ينادي على بضاعته. وكذلك الحاج رمضان العدولي. قريبنا من ناحية جدتي لأبي. وسوق الظلام. وسوق الجريد. كانا يعجان بالحركة حتى ساعات متأخرة من الليل. خاصة في شهر رمضان. ولسوق الظلام. الذي حزن عرب بنغازي على هدمه أشد الحزن. حكاية خاصة. فقد بني في العهد التركي. وتعرض لحرق كبيرفي عام 1906 تسبب في كارثة اقتصادية. ثم أعيد بناؤه. وازدهر حتى يوم هدمه على يد كلاب القذافي.!

وكان المار بالسوق يجد المحال التجارية التي تبيع الأقمشة الحريرة والأردية والملابس الجاهزة والأحذية الرجالي. والسبابيط. والشباشب عند فرج المقوب. والقرطاسية عند عوض كشلك. والأحذية عند زيو. وأعبيده.

ومستلزمات الخياطة عند الطرابلسي، والخردوات عند مفتاح دهيميش، القماش عند السنكي والبسيوني وبن غلبون، ومفراكس،الذهب، عند المغيربي، والمجريسي، والزواوي، والألعاب عند فتحي العريبي..

وفي نهاية سوق الظلام وقبل الولوج الى سوق الجريد، يقابلك ميدان الحدادة، أحد الميادين الثلاثة في بنغازي التي كانت موجوده قبل الغزو الإيطالي، وبه مسجد الحدادة الذي أسس عام 1830 ميلادي من قبل عائلة الشريف، وفي الميدان عدة دكاكين منها، دكان حويو، ومكتبة بوقعيقيص التي ساهمت في إثراء وعي الناس بالكتب والجرائد والمجلات التي زودت الناس بالمعرفة.

وإذا تجولنا في نواحي أخرى، نذهب إلى السينمات، سينما النهضة وأمامها، نجد كروسة مصطفى القريتلي الشهير بلقب "بابا"، نعرج عليها للتزود بما يسلينا من كاكاوية وزريعة ومستكة السبع وشوكلاتة قرشين، وسينما الحرية وأمامها نجد كشك خليفه الغرياني (المصارع القديم)، والسينما الراقية المنظمة، سينما البرنيتشي، ومثيلتها سينما ريكس في وسط البلاد، وسيدك سالم، يقودك بكشاف النور (البيلا)، وسينما هايتي في الفندق، وسينما الوحدة في بوزغيبة، وسينما الهلال والزهراء في البركة، وعلى ذكر السينمات، فان وجود سينما في ليبيا يرجع الى عام 1908م حيث افتتحت أوّل سينما في مدينة طرابلس، ثم انتشرت فِي كافة المدن اللّيبيّة الرَّئيسيّة مُنْذ استقلال البلاد فِي عَام 1951م، ولم تختف مِن ليبَيا إلاّ فِي نهاية السبعينيات على يد انقلابيي سبتمبر 1969م، حتَّى ساعة إقفالها في عام 1980م، لتتحول إلى ما يشبه مراكز شرطة، أو ما عرف بـ (الأمن الشعبي)، وإلى مخازن، أصابها التهالك والتردي..

في الصيف نذهب للكبترانية أو بحر الشابي "بير الجمل وبير الكلبة"، وإذا كان معانا، أحد من أفراد العائلة نمشي لمصيف جوليانه.

كانت الأسر الليبية تستعد لاستقبال شهر رمضان الكريم، وكان له خصوصية، ولهذا يعدون العدة لأيامه، كنت أحمل على البشكليكة، ما تم إعداده من روينة حوشنا، وحوش عمتي وخالتي بعد تنقيتها وإعدادها ووضعها في شوال دقيق أبيض إلى مطحن قريبنا (سيدي أحمد الغرباوي)، والد الفنان حمد الغرباوي، وخال حارس المرمى إبراهيم المصري، في شارع بوغولة، قريب من جامع بالروين، لأرجع وآخذها جاهزة بعد ذلك.

والروينه مشروب لذيذ تشرب خاصة في شهر رمضان لتمنع العطش والجوع، لا ينصح بشربه في الصيف لانه تدخل في تركيبتها الحلبة بسبب ريحتها النفادة!

كان شهر رمضان في بنغازي شهر الغفران والتوبة وبيوت الله تكون عامرة بالمدائح والأذكار، التي تسمعها في الزاويا الرفاعية، والزاويا البحرية، وباقي الزوايا المنتشرة، ومواكب الزوايا الصوفية التي تمر في المنطقة للاحتفال بهذ الأيام، تخترق جموع الناس في الأسواق، على وقع الطبول والدفوف، يا لها من مشاهد مثيرة للخيال، لا أستطيع أن أصدق أنها ذهبت هكذا دون رجعة، وكأنها لم تكن. كان كل شئ جميل، ويبعث على السرور، ومظاهر الفرحة والبهجة تعم الجميع، الفقير والغني، وكأنه حلم.

أعيادنا كانت بسيطة عفوية، نفرح بالملابس الجديدة التي نجهزها قبل العيد الصغير، ونردد فرحين اليوم الذي يسبق يوم العيد. اليوم كبيرة وبكرة عيد أفرح يا بوثوب جديد.

في العيد الصغير (عيد الحلوى) بعد الصلاة نلبس ملابس (دبش) العيد الجديدة، بدلة عربية، أو افرنجية، بدلة عسكري،أو بوليس وكندرة من محلات "باتا"،أو سوق الظلام، ونذهب (نعدي) نعيد على الأقارب والأصدقاء والجيران.

الذين يوزعون علينا الحلوى والكعك والهدايا والعيدية التي هي عبارة عن قروش قليلة نفرح بها كثيرا، لأنها تمكننا من الذهاب للسينما، أو شراء مسدس ميه، أو بندقة رش بجنيه ونص!! وبالونات من البخت، وهو عبارة عن طاولة خشبية عادة ، أو صندوق مصنوع من الورق، يضع عليه البائع مجموعة من الألعاب التي يعشقها الصغار، ويبدأ في المناداة على بضاعته بالقول.. عيادي وسنين دايما. هانا الزين وغادي الشين، في تلميح لمنافسة صاحب البخت المجاور.

عادة في صباح العيد، نأكل عصيدة العيد المكونة من دقيق أبيض "عيش وسمن ورب"، ثم في الغداء نأكل طبيخة الفاصوليا باللحم الضان، وفي عائلات بنغازية كثيرة تأكل "طبيخة بطاطا باللحم الضأن".

أما العيد الكبير،عيد الأضحى أو مايعرف عندنا بـ (عيد اللحم)، فهو مختلف لأن "حوسته" واجدة، وما تنتهيش. (شراء الخروف ومحاولة رفعه من سلالم العمارة، والذبح والسلخ والتقطيع وتنظيف الدم، وشواء اللحم وتجهيز العصبان والقديد).

يبدأ بالذهاب لسوق السعي (المواشي) ويستمر إلى يوم وقفة العيد، ويذهب كل صاحب أسرة ليختار لنفسه خروفا جيد المواصفات، وهناك من يقوم بشراء خروف الأضحية قبل العيد بيوم، ويفضل البعض الآخر شراءه قبل العيد بمدة (تمجريس الكبش) طويلة، لتسمينه بالشعير

والقمح، أوالصفصفة، وكان البيت البنغازي يعتمد اعتمادا رئيسيا على الخروف (الحولي) الوطني (الكبش)، عندما كان رخيص الثمن وفي متناول الجميع قبل أن تلتهب الأسعار، ويتم اللجوء إلى الخرفان (الحوالا) الأجنبية المازقري (البلغازي) والشامي.

واليوم الذي يسبق العيد يسمى (يوم الكبيرة)، وليله يسمى ليلة الكبيرة وفي هذا اليوم تكون الحركة في الأسواق غير عادية، وتعرض كميات كبيرة من الخضروات، وخاصة تلك التي لها علاقة بإعداد بعض الأكلات المستخدمة في هذه المناسبة، وكذلك اللحوم بأنواعها لإعداد وجبة العشاء الخاصة بليلة الكبيرة (اليوم الذي يسبق يوم العيد)، والحلويات والمشروبات التي ستقدم للضيوف مساء يوم العيد والملابس والأحذية، والروائح المستخدمة عند الخروج للمعايدة على الأقارب والجيران ثاني يوم العيد، وكل مستلزمات العيد مثل السكاكين والفحم وشوايات اللحم والأسياخ وأدوات الطبخ الخاصة بهذه المناسبة.

وفي شوارع بنغازي قبل العيد، يخرج مجموعة من الحدادين إلى شوارع معينة، ومعهم أحجار شحذ السكاكين (سن الامواس)، ويقومون بسن الأمواس وغيرها من أدوات القطع الحديدية اللازمة لهذا الأمر مثل السواطير والطباق (وكانت تستخدم قديما أحجار شبه حجارية خاصة تسمى في الدارجة المسن "الشريمه"، أما الآن فهي آلات كهربائية)، ويحاط هؤلاء بالزبائن الذين ينتظرون دورهم.. وتظهر علامات فرحة العيد على الجميع، وأما رقاد الرياح (الفقراء) فإنهم يحصلون في هذه الأيام على صدقات من زكاة العيد التي تخرجها الأسر الليبية في هذه المناسبة بشكل أكثر سخاء من المعتاد.

وفي صباح يوم العيد يقوم رب الأسرة بارتداء الجديد والنظيف من الثياب، ثم يذهب إلى الجامع وذلك لأداء صلاة العيد، والمعايدة على المصلين من سكان الشارع، وعند العودة يتم استدعاء أحد الجيران الذين يمرون على البيوت لذبح الخرفان، أو يتم نقل الأضحية إلى "المجزرة" لإتمام عملية الذبح والسلخ والتقطيع هناك.

وقد اتفق في عملية الذبح على اتباع ارشادات فقهية معينة بحيث يبدأ، الذي يقول بعملية ذبح الأضحية، بقوله: "بسم الله الرحمن الرحيم اللهم تقبل أضحيتى هذه كما تقبلتها من إبراهيم الخليل إنها منك وإليك". وتقتضي التقاليد أن تسمى الذبيحة على اسم شخص، قد يكون رب العائلة أو أحد الأقارب الأحياء أو المتوفين.

وفي هذه الأثناء يقوم بمساعدة رب الأسرة أحد إخواته أوأبنائه، ومن المعتاد أن يجتمع الإخوة يوم العيد في بيت أكبرهم سناً، وتجتمع كل الأسرة للمساعدة عند سلخ جلد الأضحية، ثم تعلق ويستخرج حشائها المتمثلة في (المعلاق والبطن)، وفصل الرأس والكرعين توضع على النار، وتستخدم لتجهيز وجبة خاصة، وجزء من اللحم يصنع منه ما يعرف باللحم المقدد (قديد)، يوضع على الحبل (ينشر) على الحبل بعد ما يتم خلطه بالملح والفلفل الأحمر، والزيت لإبعاد الذباب عنه. أما باقي أجزاء الأضحية مثل الأمعاء (الكرشة) والكبدة والرئة، تعد منها أكلة تسمى (القلاية) والأكلة الشعبية المشهورة (العصبان).. في ظهر يوم العيد.

وأما (السقيطة) والمقصود بها جثة الضحية، فيتم تقطيعها بعد ما تجف، ويؤخذ منها جزء لتجهيز وجبة اللحم المشوي (الشوايات) على موقد (كانون) الفحم، ويؤخذ جزء آخر منه لتجهيز وجبة الغذاء.

وأما فروة الشاة (الجلد) فلا تباع. لكن عادة كانت تمنح للجامع، أو لشاحنة الكشافة التي تمر بالشوارع، وتجمعها لتقدمها للجمعيات الخيرية، وفي السنوات الأخيرة، تغسل وتملح وتجفف، ثم تستخدم عادة لغرض الجلوس عليها وتسمى بـ (النطع).

كان لمدينة بنغازي خصوصيتها، أسواقها المميزة، سوق للسمك (للحوت)، سوق للصاغة، سوق للخضرة، سوق للملابس والخردوات والأقمشة، وسوق الحيوانات من الأبقار والضأن والماعز والإبل، وسوق الأعشاب والخضروات والفواكه الذي اشتهر بسوق الحشيش.

ودكاكين أقواس الفندق البلدي الذي أنشئ عام 1934، وكانت زيارته زمان، ممتعة لنظافته وحسن تنظيمه، وأتذكر أبوابه وقائمة أسعار الفواكه والخضروات التي كانت بلدية بنغازي تحددها، وتعلق على الباب الرئيسي كل يوم، ومنظر الرجل الأسمر الطويل الذي ينظم دخول السيارات. هناك كان يباع الفحم والحطب والشعير إلى جانب الخضروات والفواكه، وفي الأقواس تباع الصناعات التقليدية من الأثواب، والقفة (القدقود) والطبق والفتة "تطرح على الأرض عند الطعام" و"القفة" وهي تصنع من منتجات النخيل باستثناء "المعلف" فهو يصنع من الحلفاء حيث يوضع به سنابل القمح والشعير ساعة الحصاد. وكان مجمع الفندق البلدي حتى قبل نهاية السبعينيات كان مرتبا منظما نظيفا، وغبت سنوات لأجد هذا الرمز التاريخي، بدون صيانة طوال هذه السنوات، وفكرت بعض الجهات في هدمه عام 2005 حسب ما قرأت، وقد تحول الآن إلى بؤرة فساد، من نشل وتسول وبلطجة، وأوساخ وقمامة ونفايات منتشرة في كل مكان..

وكانت بيوت بنغازي تتشابه في واجهاتها وأبوابها، يتوسط الواجهة

الأمامية باب البيت وعلى جانبيه النوافذ وتكون واحدة أو اثنتين، وعلى الباب والنوافذ ما يشبه نصف دائرة من البناء البارز تسمى (القوس)، وكان شكل الباب السائد، هو (بوخوخة) يكون مرتفعا على شكل مستطيل، وفي وسطه باب آخر دائري من الأعلى، يستخدم في الدخول والخروج، أما الباب بكامله فيفتح عند دخول الجمال التي تأتي محملة بالغلال.

وكان الباب يغلق في النهار من الداخل بقضيب حديدي يسمى (سكارة)، وفي آخر الليل بقضيب حديدي يسمى (الغانجو)، يثبت بحلقة معلقة في الجدار ثم يرفع ويوضع في حلقة مغلقة موجودة في الباب حتى تصعب عملية فتح الباب من الخارج .

ومساجدها ذات القبة المركزية، والتي تمثل نموذجا للطراز العثماني، والتي من أهمها الجامع العتيق، ومسجد عصمان الذي شيد في القرن الثامن عشر، ومسجد الوحيشي الذي شيد عام 1840، ومسجد المكحل الذي شيد عام 1870، ومسجد الزاوية المدنية، الذي شيد عام 1870، ومساجد الحدادة وقصر حمد والشابي وارخيص وباله والجهاني وارخيص وبوغولة.

وصيدلاياتها ومستشفياتها، فإذا مرض أحدنا، يمشي لـ مستشفى (بردوشمو الإيطالي، أو ليفينتاكس اليوناني، أو مستوصف (سبيتار) سيدي حسين خلف مدرسة الأمير، وإذا احتجت للدواء ، تذهب، لصيدلية صالح الفلاح في ميدان البلدية، أو صيدلية جملي طرخان في شارع عمر المختار، أو صيدلية "يوسف جوزيبي" في شارع تورينو، وإذا احتجت أعشابا طبية وعطرية، تذهب عند (سليمان النجار).

أما وسائل التنقل في المدينة الصغيرة فكانت البشكليطة (الدراجة)، والتريشيكلو (دراجة نارية بثلاث عجلات) واستعملت لنقل الأفراد والبضائع، والموتو (دراجة نارية)، والكروسة وهي عبارة عن عربة بعجلتين، يجرها حمار، وتستخدم لنقل الافراد والأمتعة البسيطة (سبيزة من الفندق مثلا)، والعربية، وهي عربة بغطاء خلفي عادة من المشمع، يجرها حصان، ويقودها شخص يسمى (عراباجي) بيده سوط، يضرب به الحصان تارة، ويضرب به من يتجرأ على الركوب خلف العربة (التشعبيط) تارة أخرى، وكانت العربة كثيرة الاستعمال ودورها دور التاكسي الآن، وكانت تستخدم لنقل الأفراد والعائلات، كما استعملت كذلك في زفة العروس في الأفراح الشعبية، وتواجدت في بنغازي عدة محطات للعربيات، واحدة في ميدان سوق الحوت، وواحدة في ميدان البلدية، والأخرى خلف السفارة الإيطالية، وأخرى في ميدان البركة، وأيضا أمام الفندق البلدي،والمستشفى الكبير، ومستشفى بردوشمو.

وأتذكر كثيرا الكاليس، وهو عربة طويلة يجرها حصان، وكانت تستعمل على نطاق ضيق، وتنقل شخص واحد بجانب قائد العربة، والكارو وهو عبارة عربة باربع عجلات، يجرها حصان، وتستعمل لنقل الأفراد والبضائع، وقد سمي شارع في بنغازي خصيصا باسمه، شارع الكاروات ويمتد من حي سيدي حسين، حتى شارع بوقعيقيص الآن، وكان هناك بابور السكة (القطار)، وينطلق من محطته الرئيسة في بنغازي إلى منطقة سلوق، ومنطقة المرج، وهناك خط فرعي من المحطة الرئيسية إلى داخل ميناء بنغازي البحري، لنقل البضائع الواردة والصادرة من وإلى إيطاليا، ثم تطورت الأمور ودخلت السيارة الخاصة، للميسورين

فقط.. وماركاتها محددة مثل، فوردينا وهمبر، وبعد ذلك بيجو وفيات، ولا نستطيع أن ننسى متعة الركوب في الأتوبيس العام، الذي كان يربط مدينة بنغازي من البركة إلى الصابري، ثم كان هناك حافلات خاص، أطلق عليها أتوبيس (الدورة)، وينطلق من منطقة الفندق البلدي في رحلات إلى كافة أنحاء المدينة، وتتميز الحافلات بصورة عامة، بالنظافة ودقة المواعيد، وكان هناك كامسري يقطع التذاكر، يجلس على مقعد بجانب الباب الخلفي، بحيث يركب المرء من الخلف وينزل من الأمام بشكل سلس جميل منظم. ثم ظهرت سيارة القلع بالمشمع (نصف نقل)، في سنوات انقطاع خدمات الحافلات العامة والخاصة لنقل الركاب، وبدون مشمع لنقل البضائع، وظهرالتاكسي، ثم الميكروباص، بربع جنيه.

أما من حيث تميز سكان بنغازي والمناطق المجاورة من حيث عادات وملابس رجالها الشعبية، فقد كانت في أغلبها ملابس شعبية تحاك وتصنع في البيوت أو في محلات خياطة شعبية، وهي أزياء خاصة بكل فصل من فصول السنة وأزياء للعمل، وأخرى لمناسبات الأفراح والأعياد والمواسم، مثل، الجرد، والبدلة العربية والكبوط، والزبون أو كاط الملف، يرتديه الرجل فوق (السورية) القميص، ويتكون من ثلاث قطع هي: السروال، والفرملة أو البدعية، والزبون.

وهناك العباءة وهي من الصوف المتماسك جيدا، وهي حمراء، أو بيضاء اللون يلبسها الرجال غالبا في الشتاء لتحميهم من البرد.

والحولي، وهو مصنوع من الصوف اللين من الحملان الصغيرة، وعلى الرأس تلبس الطاقية أو الشنة من الصوف وخاصة في فصل الشتاء، في الصيف تلبس الطاقية البيضاء أو المعرقة. وهناك الطاقية ملحق بها

نوارة أو شنوارة، وتلبس عادة في المناسبات الدينية والاجتماعية.

والبدلة العربية وهي في العادة تكون من لون واحد الأبيض أو الأبيض المصفر أو الأزرق الفاتح، وهي عبارة عن قطعتين (السروال والسورية)، وتشبه إلى حد كبير القميص الإفرنجي المعروف، إلا أنها تكون أطول قليلا حيث تصل لأسفل الركبة ولها ياقة وفتحة من الأمام، تصل إلى نصف الصدر، ولها أزرار، وفي نهاية الأكمام لها ياقة، أما السروال فهو يضيق عند الساق ويتسع أعلى الركبة، وفي أعلاه يحاك مجرى يمرر فيه خيط من الأمام، ويسمى التكة، ويلبس فوق البدله غطاء الرأس من القماش الأبيض، يسمى المعرقة، أما الحذاء فهو من الجلد الأبيض ويسمى (بلغة).

وكان للرجل لبسة إفرنجية مكونة من البدلة والسورية والكرافته ومنديل الجيب، والكندرة والشخشير.

وكانت المرأة البنغازية، وفي الكثير من المدن الليبية، تلبس الرداء داخل البيت، وخارج البيت الجرد، الذي يقوم بصورة عامة بوظيفة غطاء، وتلبس بعض النسوة قميصاً تحت الجرد. وعند الخروج من البيت، تلبس المرأة الجرد الأبيض أو الجربي فوق الرداء وفوق القميص سورية نسائية طويلة والبنطلون السروال النسائي الذي يشبه البنطلون الرجالي غير أنه مزركس وأرجله قصيرة.

ثم ارتدت المرأة العصرية الجاكة والبلوزة والجونة والكندرة.

وكان هناك تقليد عند النساء وهو لبس (البيشة) وهي غطاء أسود شفاف يغطي كامل الوجه! والمحرمة وكانت تستعمل لتغطية الشعر.

وكانت المرأة البنغازية تتزين ببعض الحلي، مثل الدملج، وهو عبارة شرائح عريضة من الذهب تلتف حول المعصم، ومنه المفكرن (البارز) والمسلوت (بلا بروز) وكان في الماضي يصنع من الفضة والآن من الذهب.

والتكليلة، وهذا أيضاً كان يصنع من الفضة، وهو عبارة عن حلقتين كبيرتين، تلبس في الأذن بعد ثقبها من أعلى بثقبين ثم ترفع بسلسال يصل بينهما مار بأعلى الرأس.

وهناك القلائد، وهي الكردان ـ الخناق الكبير ـ ويلبس حول العنق.

وهناك الخواتم، تتزين بها المرأة في المدينة وتلبسها في جميع أصابع يديها، عدا الإبهام في مناسبات أفراح الزفاف، وتصنع قديماً من الفضة، أما الآن فهي تصنع من الذهب والماس.

وهناك، الحدايد الرقاق والغلاظ والخنش. والنبيلة أساور تلبسها المرأة في يديها وهي عبارة عن سوار يكون من الفضة. والخلخال، وهو مكون من حلقتان تكونان على شكل أسطواني، مفتوح من جانب، لسهولة إدخاله بالأرجل، تلبسهما المرأة في رجليها وتحديداً تحيط بالساقين من الكعبة إلى منتصف الساق تقريباً، وتصنعان من الفضة المغطوسة في ماء الذهب، أو من الذهب الخالص بالنسبة للنساء المترفات.

وهناك كذلك الدنادين وتلبس في الأذن، والسنيبرة وهي تلبس في العنق. والعقود مثل عقد الجوهر وعقد العنبر وعقد الشركة. والخلالات التي تربط طرفي الجرد.

وكانت مراسم الزواج في ليبيا،في السنوات الماضية، تبدأ بمجرد أن تقوم أم العريس أو أخته الكبيرة بالبحث عن عروس مناسبة، ويزورون

بعض العائلات لاختيار الفتاة المناسبة، وعندما يقع الاختيار على واحدة تجتمع النسوة المكلفات بأختيار العروس مع العريس للتداول في التفاصيل من حيث الشكل والموضوع، فإذا أبدى العريس موافقة مبدئية، يبدأ التحرك في السؤال عن مكانة ووضع العائلة من الناحية الاجتماعية، ومدى مسايرة أهلها وذويها للانسجام مع السلوك العام وقواعد النظام الاجتماعي،أو كما يقول المثل الشعبي الليبي (عيشة دوم مش عيشة يوم)، و(خوذ لولدك خال). وبعد موافقته، تتم زيارة وفد من النسوة لأهل العروس لأخذ الموافقة، ووضع الترتيبات المبدئية للخطبة والاتفاق على الشروط. يرسل والده لأهلها، ليتم الاتفاق علي المهر والشبكة، وإذا تم الاتفاق بين الأسرتين، يسمى هذا الاتفاق بـ (على المشروطة)، يتم تحديد موعد الزفاف و تبدأ الاستعدادات.

البداية بيوم الفاتحة (عقد القران)، وعادة كانت تقام في البيت (الحوش)، يتم إحضار (ايجيبوا) الكراسي من أحد النوادي الرياضية، والمرطبات (الباسطي) من مقهى دمشق، والمشروبات (القازوزة) من معمل الدنيني،أو معمل شويرب المالطي، وصلي وارفع صباطك!! بعدين الأمور تطورت، وتم اللجوء إلى المقاهي، بعد صلاة العصر يحضر فقي الجامع لعقد القِران، بحضور أهل العروسين والمعزومين والشهود، ويعقد القِران، ويختم بدعوة لهم بالرفاه والبنين، وتوزع المشروبات والمرطبات (الشربات والباسطي). وبعد ذلك كانت مراسم عقد القِران تتم في نادي رياضي، قبل أن تصل الأمور إلى فاتحة هذه الأيام في الصالات الفخمة والغذاء والمشروبات والعصائر، بعد عقد القِران، تبدأ مرحلة إرسال كروت الدعوة للعرس، وتوزع على الأهل والأصدقاء والجيران.

ثم نأتي إلى أول يوم من أيام العرس، وهو يوم الثلاثاء عادة، وهو ما يعرف بيوم الرمي، وفيه تنقل مصروف العرس من خراف حية وأكياس من الأرز والسكر والشاهي وطماطم العلب، والتوابل، والخضروات والفاكهة لبيت أهل العروس، و(كل قدير وقدره) كما يقول المثل الشعبي الليبي.

في يوم الحنة تلبس العروس البدلة الصغيرة، المكونة أساساً من "القمجة" و"السروال" و"الفرملة" والذهب. وتحضر النسوة من أهل العريس، يتقدهم موكب (على الارجل أو في عربيات، أو تاكسيات) من مجموعة من الشباب، من اقارب واصحاب العريس لإحياء الفرح بالماثورات الشعبية من (غيطة وغناء ودرابيك، طبل وزمر، حاملين (جايبين) معاهم الأشياء المطلوبة والتي تم الاتفاق عليها للعروس، من بدالي العروس (أردية حريرية) وحلي، ومواد زينة وعطور عربية، أو ما يعرف عندنا بـ (قفة العلاقة).

اليوم الثاني هو يوم الحنة، وفيه تتم مراسم فتح القفف، التي سبق إحضارها اليوم السابق، من سيدة كبيرة متقدمة في السن من أهل العروس وتسمى بـ (فتح العلايق)، العلاقة الأولى وتحوي (حنة الورق) تملأ العروس كفيها من الحنة وترميها خلف ظهرها، ثم تفتح السيدة العلاقة الثانية المحتوية على الجاوي والزهر وزيت الزهر والصبابيط والعطور، والأمشاط والمساسيك المعدنية والسوالك وتقوم السيدة بتوزيع الحلوى على الأطفال، والقليل من محتويات العلاقة على النساء، بعد ذلك تجمع الحنة وتدق في المسحان، وتعجن، وتوضع في إناء، وتثبت فيها الشموع.

بعد صلاة العصر تحضر الحنيات من أهل العريس، لبيت العروس، وبحضور المدعويين، تبدأ مراسم يوم الحنة، بحضور الدرباكة لإحياء الفرح، ويتم

تقديم وجبة العشاء المكونة من أرز وعصبان. وتدخل أم العريس وبعض النسوة على الغرفة الموجودة بها العروس وهي ترتدي رداء حرير، وجالسة على فراش من الصوف. تضع أم العريس، بعض الحنة في يد العروس، وهي الحنة التي أعدتها أم العروس، ثم تقوم النسوة بـ (التشتاي).

وتتواصل طقوس الحنة بوضع الحنة في أرجل (كرعين) وأيدين العروس التي تخرج من الغرفة لتجلس وسط الحوش، وسط الغناوي والدربيك،وتستمر حتى خيوط الفجر الأولى. ومن طرائف هذا اليوم محاولة أهل العريس سرقة أشياء من حوش العروس على أن يتم ترجيعها يوم الأسبوع!!

اليوم الثالث، وهو يوم الزفة، تلبس فيه العروس البدلة الكبيرة، وتتحلى بالذهب والفضة، وتحضر أخت العريس وإحدى السيدات من كبار السن معها، لاستلام العروس، وكان في الماضي تتم هذه الطريقة، بالأرجل إذا كان حوش العريس قريب من حوش العروس، أو بواسطة العربيات التي تجرها الأحصنة، أو بالتاكسيات أو بالسيارات الخاصة فيما بعد. وعندما تدخل العروس حوش العريس تقوم النسوة برمي الحلويات ابتهاجا وترحيبا بقدومها.

اليوم الرابع وهو يوم الجمعة ويعرف بيوم (التسندير)، تلبس فيه العروس ما يعرف بالبدلة العربية، وهي مكونة من رداء وقمجة وكردية ومريول وسروال بكامل زينتها وحليها، يفتح باب غرفة العروس وتخرج وسط الحوش وتستقبل بالزغاريد وتجلس في مكان مخصص لها، وتقوم الشوشانة (وصيفة العروس) بتوزيع النقود على الأطفال وتجلس أحدهم في حجر العروس تفاؤلا به..

ولا تميل المرأة في بنغازي وأغلب المناطق الليبية للتبرج والإكثار من

وضع مساحيق التجميل الصناعية المستوردة، وتكتفي بالحنة التي تعتبر من المكونات الأساسية بالإضافة إلى السواك و الكحل العربى والمسك، وتتعطر بالبخور التقليدية من فاصوخ وقماري ووشق.

وعند النساء من كبار السن، كان مقياس الجمال يتحدد بالوشم وهي عملية الرسم الدائم على أجزاء من الجسم وفي الوجه بالتحديد يسمى (الدق) حيث تقوم امرأة متخصصة في هذا المجال بالدق في وجه الفتاة، وفي الاعتقاد أن هذا الوشم يزيدها جمالاً، ويتم الرسم بين حاجبين على جبين الفتاة (العرنين) ويسمى شنقال، ونقاط بجانب الأنف، وتسمى (النفايل)، أما الخط الواصل من الشفة السفلى حتى الذقن يسمى (خط) وتكون من جهتي الوجه، وفي الخد الشمال بمحاذاة الأنف من الأسفل يتم وشم نقطة واحدة تسمى غماز، ومن ثم يتم رسم خط من الشفاة السفلى حتى الحنك، ويسمى حرقوص وقد يكون عريض أو رقيق، أو خطين أو ثلاثة وبينها نقط صغيرة.

أما المظاهر الخارجية للفرح فهي عبارة عن تعليق العقود (لامبات ملونة)، وزغاريد تملاء المكان والكل فرحان، والجيران يساعدوا، و(سلم خوته اللي صبولا)..

بالنسبة لإعداد الطعام (التطييب)، في الأول كان الأهل والأقارب يتكفلون طواعية، بهذا الأمر وبعدها، بدأ استدعاء امرأة محترفة نظير أجر متفق عليه!!، وبتطورالأوضاع وتحسن الحالة المادية، أصبح هناك مآدب كبيرة (عزومات) في صالات الأفراح.

أما في الجانب الآخر من العادات والتقاليد الاجتماعية وهي مناسبات إنسانية تمر على المجتمعات كافة، فإن طقوس وعادات وتقاليد المأتم (العزاء)

في بنغازي، فهي أكثر تأججا من الناحية العاطفية والانفعالية.

في المأتم (العزاء) بعد ما يتوفى شخص ما، تصرخ النساء بم يشبه النحيب (يعيطن) عليه الصبايا، إذا كان الميت رجلا فان أخواته أو زوجته، يمزقن دبشهن (ملابسهن) و(ينتشن) شعرهن (ينثرن شعورهن) ويضربن (ايديرن) صندوق، ويبدأن في الضرب، بعصى غليظة في دقات منتظمة، ويرمين على رؤوسهن العوين (رماد كانون الفحم)، ويخبطن (يلطمن) على صدورهن، ويندبن (خدش الوجه بالأظافر)، وتبدا واحدة منهن في الصياح، حيه على أحميده الغزال .. مسرع ما جاه الغسال، وترد الباقيات، حيه ديما، حيه ديما، واذا كان المتوفي (صغير السن)، يكون النداء كالتالي، "حيه على وليدك يا حنه... مسرع ما ليام خدنا".. وهكذا، وبعد انتهاء وصلة الضرب على الصندوق، أو الطاولة المصنوعة من الخشب عادة، وهو أول صندوق يجدهن في طريقهن (يجي في ايديهن)، أو أي شيء له علاقة بالمتوفي تجلس النسوة في مجموعة مكونة من اثنان أو أربع، تعانق الواحدة منهن الأخرى ويبدأن فاصل من البكاء المهموم، مصحوبا بكلمات حزينة تقطع القلب، (يا نا عاليا يا بويا، إذا كان الميت رجلا، ويانا عليا يا أمي، إذا كان المتوفي امرأة).

وفي ثالث يوم الدفن (الدفينة)، أو ما يسمى بليلة الوحشة، تقوم النسوة (الصبايا)، بالمبيت مع الأرملة في حوش العزاء، لمواساتها والتخفيف من حزنها الأليم. وفي اليوم الرابع من دفن المرحوم، تذهب النسوة (الصبايا) لزيارة قبر المتوفي، وبعد الرجوع من المقبرة مباشرة، وباعتبار أن صندوق العزاء ما زال قائما، يتم الضرب عليه ضربة الوداع، لاخر مرة بالعصي، ثم تجمع العصى ويجمعها احد الاطفال، ويرميها

بعيدا عن بيت العزاء، إعلانا بانتهاء مراسم الحزن الكبير، بينما يستمر توافد المعزيات والبكاء والنحيب لأيام أخرى.

كنت أتابع هذا عن قرب، عندما كنت صغيرا أذهب مع أمي لتقديم واجب العزاء في أحد المتوفيين أو المتوفيات، وأمسك لها الجرد، بعد أن تتركه بمجرد دخولها بيت العزاء، حتى الانتهاء من تأدية الواجب، وخوفا من ضيعته باختلاطه بجرود أخرى، وأتذكر كيف تأتي النساء من الجيران راجلات، أو الأقارب راكبات عربية أو سيارة، وبمجرد أن تقترب من بيت العزاء ترمي الجرد وتبدأ في الصياح بقوة مجلجلة، (واك.. واك..واك، واه، واه، واه،) ، تدخل لتحتضن النساء في داخل البيت وتعانقهن معانقة طويلة مع نحيب وبكاء.. وقد أدركت الآن، سر تفريغ هذا الحزن وهذا الهم في البكاء، المكبوت الذي ينطوي على المعاناة الشديدة والحزن المتراكم.

ويقام السرادق وهو عبارة عن مجموعة من الكراسي، أمام البيت (الحوش) لجلوس أهل المتوفى والمعزين، بعد غسل وتكفين الميت في المصلى بعد المستشفى (الاسبيتار) الكبير عند فم السور في المدخل الشرقي لمدينة بنغازي في العصر الإيطالي. والدعاء له بالرحمة والمغفرة.

ويوم الشيلة أو الدفينة (الجنازة)، كانوا يوزعوا علينا خبزة مدهونة بالزيت! صدقة على روح المرحوم، نأخذها منهم ونمشوا انكملوا لعبنا في الشارع، دون دراية بما يحدث حولنا. وتبدأ مراسم السهرية (تقبل العزاء)، وتستمر لثلاث أيام عادة في بيت المتوفي، تتم استعارة عددامن الكراسي من الجيران، أو من أحد النوادي الرياضية، ثم ظهرت فكرة استجلاب خيمة مشمع من أحد معسكرات الجيش الليبي، قبل أن يبدأ مشروع التشاركيات التي تتكفل بكل شيء. ومن مراسم العزاء وقوف أهل وأقارب المتوفي

لتقبل العزاء، ويسمونه طابور العزاء.. كل واحد من المعزين يقول، إحدى هذه العبارات المتداولة.. البركة فيكم، أو أجركم على الله، ليرد عليه أهل المتوفي بالقول.. أجركم وأجرنا على الله وهكذا.

بعد المغرب يقدم العشاء، وهو يعتبر صدقة على روح الميت، ويتكون عادة من مكرونة أو أرز باللحم، ويتم إعداده من نساء (صبايا) الحوش وأقاربهن، وبعده، تقدم طاسات الشاهي الأخضر والأحمر، المعد في إبريق براد كبير وسخان (براد كبير).

بعده تبدأ المرأة اللي مات زوجها (رجلها) في الرباط أو (العـــدة)، ومعناها أن تبقى الزوجة مدة مائة يوم (ثلاثة أشهر وعشرة أيام)، تلبس فيها ملابس بيضاء، ولا تقابل فيها رجلا، يحل عليها (الزواج منه)، ومن العادات القديمة ، كان أهل البيت يقومون، بتغطية أي مرآة (مراية) حتى لا تنظر الأرملة إليها.

والغاية من هذه العدة، هو الحفاظ على نسب الجنين إذا كانت الأم حامل، والتأكيد على أنها غير حامل في الفترة التي سبقت وفاة المرحوم. ثم يأتي يوم فك الرباط حيث تخلع الملابس البيضا، وتدخل (ادير) حمام، وتتجهَز (ايديروا) حنة على شكل كور صغيرة، تأخذ كل واحدة من الصبايا وحدة وهي ذاهبة (مروحة) لبيتها.

وقد ترجم أهالي بنغازي عاداتهم وحولوها إلى احتفال ومناسبات وتقاليد، يحرصون على التقيد بها حتى أصبحت عادة وتقليد أو ما يعرف بـ (سبر) لايتخلون عنه أبدا.. مثل أكل الفتاشة (لحم ظلوع الحولي المقدد) ليلة رأس السنة الهجرية، ووضع الجير الأبيض على العتبات للتبرك.. وفي يوم عاشوراء يتم توزيع الحمص والفول على الأطفال "واللي ماتعطيش

الحمص يصبح راجلها يتلمس، واللي ماتعطيش الفول، يصبح راجلها مهبول". وفي مناسبة المولد النبوي محمد عليه السلام (الميلود) تعلق الزينات، ويحمل الأطفال (الفوانيس) القناديل، ويغنون.. هضا قنديل وقنديل. يشعل في ظلمات الليل، وفي الصباح هناك عصيدة الميلود، المكونة من دقيق قمح أبيض وسمن ورب أو عسل أصلي.

بالنسبة للتزود بالمعرفة، في سنوات الطفولة والشباب، فقد أتيحت لأبناء جيلي الفرصة كاملة للغرف من معين لاينضب. أتذكر أني كنت أصعد ذلك السلّم الخشبي الدقيق، لأصعد للغرفة العلوية الموجودة في وسط الحوش، حيث مكتبة أخي الأكبر منصور، العامرة بالكتب المختلفة، وأنا أرجّف،حتى لايتم اكتشاف أمري. كان لا يمانع في حصولي على الكتب، لكنه كان يخاف عليها، ويخاف من الوقت الطويل الذي أقضيه هناك، وأترك واجباتي المدرسية.

وكانت مجالات وسبل الحصول على المعرفة متوفرة لمن يريد، وقد أتاح لي عملي خلال العطلة الصيفية بمكتبة الشعالي الخراز بشارع اسنيدل، مقابل مبنى السفارة الإيطالية، فرصة للاطلاع على عدد كبير من القصص والروايات والكتب التاريخية، إلى جانب المجلات والجرائد الليبية والمصرية واللبنانية. وكانت عملية الحصول على كتب مستعارة متاحة بسهولة من المركز الثقافي المصري والمكتبات العامة، مثل مكتبة التعليم بجانب مقهى تيكة، ومكتبة الإرشاد في مبنى كان مقام مكان مصرف ليبيا المركزي الآن، ومكتبة بجانب مصلحة الجوازات، بمجرد تزويدهم بصورة شخصية. وقد عاصرت في ذلك الوقت مشروع المكتبة المتجولة (المتنقلة) والتي تجوب شوارع وأزقة وميادين مدينة بنغازي

للاطلاع، والاستعارة، والتي كانت تحوي مئات الكتب والمجلات لنقل العلم والمعرفة بين الناس، وكذلك العروض العامة للأفلام التي تنظم بشكل دوري عن طريق السيارات المتنقلة للجمهور في أماكن لا توجد بها دور عرض، وكانت هذه السيارات تتبع "وزارة الأنباء والإرشاد"، وكانت تحضر إلى ميدان (وسعاية) شارع العقيب بشكل منتظم.

وكانت هناك الإذاعة الليبية وبرامجها المميزة الهادفة، من تمثيليات وأغاني، والإذاعة المصرية، وإذاعة لندن (بي بي سي) وعالم الظهيرة، وكلها برامج ساهمت في زيادة الوعي عند الليبيين. ولم يقتصر جيلنا على سماع الأغاني الليبية أو العربية فقط، فقد نواكب التطور ونستمع إلى أحدث الأغاني الأجنبية السائدة في ذلك الوقت مثل بوب مارلي، كات ستيفن، بي جيز، بوني أم، جيمي اندريكس.

وكان الفن عامرا ومزدهرا في بنغازي، والحركة مسرحية نشطة وتقدم نصوصا ذات مستوى راق، وكان تواجد فنانون مصريون كبار مثل عمر الحريري في المسرح الشعبي، ومحمد توفيق في المسرح العربي، والسيد راضي في المسرح الوطني، قد خلق تأثيرا كبيرا ومردود طيبا.

وقد اهتميت منذ صغرى بالفن والتحقت في سن مبكرة بمساعدة شقيقي منصور، بفرقة المسرح العام للتمثيل بميدان سوق الحوت، الذي كان أحد مؤسسيها، الأستاذ خليل الكوافي وشاركت في عرض مسرحي واحد، وطافت الفرقة في ذلك الوقت بكل المدن في شرق وغرب ليبيا لتقديم عروضها المسرحية فذهبت معهم إلى مصراته وطرابلس وعرضنا هناك في مسرح الكشاف، ومسرح الحمراء، وقاعدة الملاحة، ومسرح في مدينة مصراته ومسرح في مدينة صبراته.

كانت الفرقة تتخذ من الدور الثالث من سطح عمارة المعهد العام لتعليم الطباعة، مقرا لها، وشيئا فشيئا بدأت تستقطب الشباب المحب للمسرح، وركزت على الأعمال الفنية الشعبية، فقدمت مسرحيات مثل الخطاب الثلاثة من تاليف الأستاذ علي بحيري، والشقة جوها هلها، من تأليف المرحوم محمد إدريس، ويوم في الجنة من تأليف سالم العمامي، وفكرة عبد ربه الغناي. وفرقة المسرح العام للتمثيل كانت فرقة متميزة لأنها ضمت أكثر من 12 عنصر نسائي، وهو ما لم يتوفر لدى أي فرقة مسرحية في ليبيا، وربما في أي دولة عربية في ذلك الوقت، وأتذكر منهن جيدا، فائزة كشلاف، عائشة كرداش، نورية السنوسي، عائشة بن غلبون، وغيرهن. وضمت الفرقة في عضويتها آنذاك ألمع فناني المسرح الليبي، ومنهم من هو مستمر في العطاء حتى اليوم، من أمثال الأساتذة، علي بحيري، فرج بوفاخرة، سالم العمامي، محمود الزردومي، منصور الزغيبي.

ثم انتقلت إلى فرقة المسرح الحديث، التي تأسست في بداية السبعينات بجهود عبد الله علي خليل، وعلي بوجناح،و وتوفيق بن سعود، ومحمد بن حريز، وانخرطت في فرقة الأشبال بالفرقة، التي كونها كل من منصور الزغيبي والمرحوم علي الجهاني .

وهناك تعرفت على الإنسان الرائع الراحل علي الجهاني، أحد الأسماء المؤثرة في المشهد المسرحي الليبي وأعماله التي ستظل في الذاكرة، ولا أنسى إسهامه في تكوين فرقة الأشبال في المسرح، وهي حسب اعتقادي أول فرقة أشبال مسرحية ربما على المستوى العربي كافة. ومثلت معه مسرحية السجناء تأليفه، وإخراج منصور الزغيبي. وتعرفت كذلك على

أصدقاء مازلت أتواصل مع بعضهم حتى الآن، خليفة الحوات، مفتاح بادي، سالم بوزريده، عبد الله حسين، أمينة التركي، جميلة اسحيم، عمر بن دردف، منعم الغويل، حسن العروية، مراد الهوني، مصطفى العمامي (أحمد باسم).

في المسرح الحديث تعلمت الكثير بسبب الجو الثقافي والأدبى الذي كان سائدا، ولم يقتصر الأمر على التمثيل مثل باقى الفرق المسرحية التقليدية، بل كان الأمر أشبه بمشروع ثقافي، انتهى قبل حصاده للأسف، بسجن بعض أعضائه ومريديه، ثم هدمه، والتضييق على بعض أعضائه في سنوات الثمانينيات العجاف.

كانت هناك الصحف الحائطية، ومنها تعلمت المبادئ الأولى للصحافة، حيث كنت أنا ورفيقي في المسرح (عمر بن دردف) نصدر جريدة حائطية بشكل أسبوعي، وكان هناك مجلة تطبع على (الستينسل) يصدرها ،أحمد الفيتوري، والدكتور احمد سعد، علي عقيل الجحاوي، ومجموعة أخرى من رفاق المسرح، وكانت النقاشات تدور يوميا في قضايا الفن والأدب، في تلك الفترة أقمت صداقات عديدة مع أعضاء الفرق الأخرى، مثل المسرح الشعبي، حيث كنت أتردد عليه لحضور بروفات المسرحيات بإذن خاص من الراحل العظيم عمر الحريري، الذي كان يشجعنا ويحضر عروض فرقة الأشبال بالمسرح الحديث، وهناك يستمتع المرء بمشاهدة أفذاذ التمثيل من أمثال، منصور فنوش، فرج الربع، نجاة سحيم، رافع نجم، محمد بن حريز، كما كنت دائم التردد على مقرفرقة المسرح العربي، مباشرة وراء محل محمد الكوافي، لزيارة أستاذي ومدير الفرقة النشط عبد الحميد المالطي، الذي عمل ويعمل في ظروف صعبة، ومع هذا فقد قدم الكثير

للمسرح الليبي، ومنها مسرحيات لاتنسى مثل، انتبهوا أيها السادة، النار والزيتون، ثورة الزنج، جاكم عنتر، و مسرحية شابن اهدوب الليل.

وعلى ذكرالأستاذ عبد الحميد المالطي، فلا أستطيع أن أنكر فضله علي، فهو الرجل الذي اكتشف موهبتي في الصحافة وأرشدني وساعدني في أن أكون مراسلا فنيا لجريدة الرائد التي كانت تصدر في طرابلس قبل تأميم الصحافة في ليبيا، عام 1973.

وأتذكر زياراتي للمسرح الوطني أيام مقره القديم بجانب (الفراوية القديمة)، المسرح الوطني الذي تأسس في سنة 1968 على يد كل من الفنانين سالم فيتور، عبدالفتاح الوسيع، الفنان إبراهيم الخمسي، الفنان رافع نجم، الفنان إبراهيم العريبي، وروائع المسرح الوطني التي لاتعد وتحصى، ومنها السلطان الحائر، على جناح التبريزي، زيارة السيدة العجوز، ملك يبحث عن وظيفة، إخراج السيد راضي، الفيل يا ملك الزمان، وغيرها من الأعمال التي شارك فيها ممثلين مقتدرين منهم محمد الأمين، محمد الفزاني، والوسيع، وغيرهم.

وعاش جيلنا على قمم في كل المجالات الرياضية، والفنية والصحفية والثقافية، يصعب على المرء تعدادها وحصرها، فالساحة كانت مليئة بكل شئ جميل ومرحلة كانت تنبئ بمستقبل زاهر لهذا الوطن.

ومن أين أبدأ؟ من قمة الصحافة (جريدة الحقيقة) وكتابها المهرة، وهي الجريدة الوحيدة على ما أعتقد، التي كان القراء يقفون في طابور لانتظار حصولهم على عدد منها، وخاصة العدد الأسبوعي يوم السبت، وأنا كنت شاهد عيان على ذلك بحكم عملي في العطلة الصيفية في مكتبة الشعالي الخراز! وقد لعب الصادق النيهوم دورا كبيرا في هذا مع

كوكبة الكتاب الآخرين، من أمثال خليفة الفاخري، وأنيس السنفاز، بوبكر الهوني، النيهوم، الذي ترك بصماته على جل الكتاب الذين جاؤا بعده و أثرا فيهم تأثيرا كبيرا في الصياغة والتعبير وطريقة التفكير.

وهي الجريدة التي ضاق القذافي ذرعا بها وشعبيتها الكبيرة، وسيطرتها على الرأي العام، فقام بإغلاق الجريدة وكل الجرائد الأخرى، ولينفرط عقد كتابها ويتبعثرون بعيدا عن منبر كان من الممكن أن يصير منارة ثقافية للمجتمع الليبي كافة. إلى جانب صحف ومجلات كان لها الأثر الكبير في نهضة المدينة مثل برقة وليبيا المصورة والأمة وقورينا وجيل ورسالة والكفاح. وهي صحف ومجلات أمها نظام القذافي في بداية السبعينات، مع صحف أخرى، مثل (رقيب رجب المغربي، وزمان عمر الأشهب، وبشائر عوض زاقوب، وريبوتاج عبد القادرالطويل). وكذلك جرائد الرائد والبلاغ، وطرابلس الغرب، التي كانت تصل من طرابلس وكانت محط اهتمام القراء في بنغازي.

ومن قمة الرياضة وسحرتها الذين صالوا وجالوا في ملاعبها، من أمثال المكي والمصري والشعالية وبن صويد، ديمس الصغير، المحجوب بوكر،أحمد الاحول والبسكي، العيساوي والبشاري، الفيتوري رجب،ونيس خير. وأنديتها النجمة و الأهلي والهلال والنصر والتحدي.

تربينا على سماع كل الألحان من المألوف والموشحات الأندلسية إلى الفن المرسكاوي القادم من مرزق وفنون مناطق هون وودان التي اشتهرت باللون الغنائي المعروف بـ (الد بدابة).

ومن قمة الغناء والطرب، أمثال حسن عريبي، صبري الشريف، سيد بومدين،علي الشعالية ومحمد مختار وعمر المخزومي ومحمد صدقي،

والموسيقي مصطفى المستيري، سالم زايد ونوشي خليل، وأحمد كامل، وعطية محسن، ومحمد رشيد، وخالد سعيد، ومحمود الشريف، وسلام قدري، محمد الكعبازي، نوري كمال، كاظم نديم، ومحمد الجزيري، سليمان بن زبلح.

والمعاصرين، عادل عبد المجيد، إبراهيم فهمي، وأحمد فكرون،خيرية المبروك، وتونس مفتاح، وعازف الأكورديون سليمان بن زبلح، وأفذاذ الأغنية الشعبية ببلادنا، عبرت تعبيرا حثيثيا عن ثقافة المجتمع، أمثال علي عليويكة، عبد الجليل الهتش، واحميده درنه، علي التركي، سيف النصر، حميد الكيلاني، جمال عاشور، حسن بشون، سكابه، فتحي الصور، الفونشة، مريانا.

وقمة التمثيل والإخراج والتأليف، من أمثال رجب البكوش، محمد السوكني، محمد شرف الدين،علي العريبي، رجب اسماعيل، صلاح الشيخي، ومنصور فنوش وفرج الربع،وبعدهم، ميلود العمروني ومحمد الصادق ومحمد العوامي، علي الفلاح، داوود الحوتي، خميس مبارك، مفتاح بادي، عز الدين المهدي،محمد ادريس،علي بحيري، عبد النبي المغربي، سعاد خليل، ابراهيم الخمسي، طارق بوقرين، فتحي بدر، صالح الابيض وغيرهم.

في القصة وهبي البوري،علي مصطفى المصراتي، أحمد العنيزي، طالب الرويعي، محمد المسلاتي، سالم العبار، يوسف القويري، خليفة التكبالي وفي التاريخ محمد بازامة وعبد الكريم الوافي، الطيب الأشهب، وعبد السلام شلوف،خليفة التليسي، وفي النقد والدراسات، سالم الكبتي، حسين مخلوف، احمد الفيتوري، وفي الرسم عوض عبيده في

مرسمه بشارع قصر حمد،والساخر، محمد زواوه، الذي رسم لسنوات البسمة على شفاهنا.

وفي الشعر، أحمد رفيق شاعر الوطن، وإبراهيم الأسطى عمر، الماجري، والشلطامي المتمرد، والفزاني، وشعراء شعبيون مثل صاحب، "وين ثروة البترول يا سمساره"، ورائد الشعر الليبي الحديث، علي الرقيعي.

والإذاعية الصحفية، المربية خديجة الجهمي وبرنامجها، (ركن المرأة) الذي ساعد على توعية المرأة الليبية والإرتقاء بها، والمربية الخوجة حميدة العنيزي، التي ساهمت في فك قيود المرأة الليبية وتطويرها. في التصوير، كان هناك فتحي العريبي، وكاميرته الساحرة التي رصد بعضها في كتابه (المتفرج الوحيد) اضافة الى معارضه المحلية والدولية، والسينمائي محمد مخلوف، واعماله الفنية المتميزة.

كان هناك مذيعون ومذيعات، أمثال، حميدة بن عامر وهي أول صوت مذيعة ليبية عبر أثير الإذاعة، وعلي أحمد سالم، عبد الفتاح الوسيع، والأخوات، الغزواني، وسالمة الحمري، والمذيعة المتألقة حليمة الخضرى رحمها الله، والسيدة الفاضلة أمينة الوداني مشرفة برنامج ركن الأطفال ومساعدها الأستاذ محمد الغضبان، ورئيس قسم التمثيل بالاذاعة محمد السوكني، والقدير حامد جبريل.

وإلى جانبهم واصل المسيرة وتألق، بلقاسم بن دادو، محمد المطماطي، الطاهر رحومة، المهدي الجلي، فاطمة عمر وحورية مظفر، أحمد أنور، عبد اللطيف سالم، حسن بن عامر، فيصل فخري، محمد بالراس علي، ولا ننسى الصوت الغائب الرائع فرج الشريف وبرنامجه (ألوان).

واشتهر في المدينة اصحاب محلات ومطاعم وحلويات.

إذا أردت أن تستمتع باكلة (نص بالتن)، فاذهب مباشرة عند كشك (اينابا) ابن (بابا) الروكلي في زاوية الحديقة الرئيسية بشارع جمال عبد الناصر (قدام الديوان الملكي سابقا)، أو عند سي عبد الغفار في سور نادي الهلال القديم في أدريان بلنت، أو مطعم ونيس بوذراع في سيدي اخريبيش، أو العلواني في شارع جمال عبد الناصر. أما أحسن فاصوليا، بدون منازع، يأتي أحميده فاصوليا في سيدي حسين، وسي خليفة في شارع الرعيض، وقريتشه في الفندق، رائحة الفاصوليا بالكرشة.

أم أحسن حرايمي وقلاية منبعثة من رائحة التوابل، عند مطعم سي بشير الوداني في جانبه سوق الحوت، وأحسن دجاج محمر على الفحم، عند مطعم الرفاق أمام شهداء يناير. وللتلذذ بأكلة شاورما كان هناك مطعم أفريقيا جنب الكنيسة، ومطعم سوريا بجانب مخبز الممتاز. وللتمتع بأكل الحلويات، هناك مقهى دمشق، والمقهى الرياضي، وكنافة بوعشرين، والحلويات الشرقية من شهرزاد بالقرب من الكنيسة، وبوريك النحلة في شارع فياتورينو.

بنغازي
العودة إلى النبع الأول

المدينة، أي مدينة نعيش فيها ،سواء بنغازي التي عشت فيها، أكثر من ربع قرن من الزمان، أو أثينا التي عشت فيها، نفس السنوات تقريبا، تعيش في أعماقنا دائماً، وبخاصة عندما ترتبط بذكريات الطفولة والصبا، حيث الخطوة الأولى، والكلمة الأولى، والحب الأول.. هذه المدن تسكن فينا، رغم غربتنا، أو ابتعادنا عنها، وغالباً ما تكون هذه الغربة أو الاغتراب مصدر القلق الإبداعي، حيث يغمر الروح حنين لا يقاوم لمدينة ما، أو حبيبة ما، وليس ثمة طريق للهروب منها، سوى الرجوع إليها، عبر الذاكرة المشبعة بالماضي المثير، والزمن البعيد.

وعندما يعود المرء إلى مدينته، مسقط رأسه، ليروي عنها حكايات، ويرسم صوراً غائبة، تكاد تندثر وتختفي في ضجة الحياة وغبار السنين، ربما يجد وجه مدينته، أو حبيبته قد تغير، فيحاول أن يزيح عن وجه هذه المدينة العريقة، بعض ما فعله الدهر، والبشر لتبدو، كما عرفها، وكل أبنائها، في ذلك الزمن، هادئة، بهية وساحرة.

لقد كتب الكثيرون عن المدينة، كل بطريقته، عن مدينته، الروسي

جوجول كتب عن موسكو، ونجيب محفوظ كتب عن القاهرة، وعبد الرحمن منيف كتب عن بغداد.

والكتابة عن المدينة، هي في الواقع، كتابة حكايات الحياة اليومية للناس الذين يمثلون ابطال تلك الحكايات. واذا أردنا الكتابة عن مدينة بنغازي مثلا، فان حكايات ناسها الطيبين، هي المادة الأولى للكتابة عن تلك المدينة. وعندما فكرت في محاولة الكتابة عن بنغازي، وجدت الموضوع عصيا، وترددت كثيرا كيف تكون البداية، هل أكتب عن شوارعها، ميادينها، مقاهيها، مطاعمها، أم عن حكايات شفهية من أناسها، الذين كانوا شهودا على تاريخها، واخترت أن أقوم برحلة اكتشاف جديدة، لهذه المدينة، حيث أسترجع ذكريات الطفولة والصبا، صوراً وأسماءً ووجوهاً وأماكن ومواقف، ربما غابت عن ذاكرة الكثيرين، واختفت في طيات الزمن، بيد أنها ظهرت، من جديد، حية، واضحة.

أحكي عن بنغازي التي عرفتها، عن شوارعها، ميادينها، عن ألعاب أطفالها، عن مجتمعها، عاداتها وتقاليدها، تراثها، عن كل ما كان يدور في حاراتها وأزقتها، وبيوتها، التي لم تفارق وجداني، رغم السفر والترحال.. فالمرء لا يستطيع الهرب من ذكريات طفولته، وبالأخص، إذا كان يحمل مدينته في داخل (قلبه) وليس في حقيبة السفر المعلقة على كتفه دائماً، وهو يجوب شوارع المدن البعيدة.

تلك الدنيا التي لم تكن سوى الأحياء القديمة، بشوارعها الضيقة، بناسها وعرباتها البدائية، وبيوتها ودكاكينها ومقاهيها الشعبية. دنيا لها حدود جغرافية غير متناسقة، تبدأ من شارع العقيب، شارع محمد موسى، فياتورينو، البزار، شارع قصر حمد "الركينة"، الرعيض،

نبوس ومقهى، شمسه، عثمان بحيح، شارع زواره، شارع مصراته، ميدان الحدادة، وراس عبيدة والصابري وسي خريبيش والمنارة، ميدان البلدية، ميدان الشجرة،الصابري عرجون الفل، الشابي، دكاكين حميد، اللثامة شارع جمال عبد الناصر ومحل بوجازية، شارع الشريف، سوق الحشيش ودكان سى عثمان الورفلى، وميدان سوق الحوت، صيدلية الجميع، والمعهد العام، ميدان الشجرة ويمتد حتى سيدي حسين والبركة والسبالة، وحتى بوزغيبة، الماجوري، شوارع تعبرها الكاروات والعربيات، واوتوبيسات الشركة البرقاوية، وقطار سيدي مرعي (راقد جردينة).

وكنا صغارا نلعب في الشارع، نحمل الخبز المجهز في البيت للكوشة.. نتشاجر مع أقراننا، وقد تتحول إلى معارك بين أطفال هذا الشارع والشارع الآخر، وإذا أراد أحد الفريقين مواصلة المعركة ينشد، ويقول: (اللي يبي الحرب يجينا، نحنا فوق جبل جردينا، اللي يبي الحرب يوازي، نحنا فوق جبل بنغازي!)، وعندما يفوز أحد الفريقين، يصيح في الفريق المهزوم، قائلا: (كارونا غلب كاروكم، جيبوا الشيمة وانكروكم). نلعب الكورة في وسعاية شارع الحشر مرة بكورة الشخشير! ومرة بكورة عشر قروش! ومرات قليلة بكورة فطبل!. نلعب النقيزة، الكمادي، طق طق يا طقية، الكيكس، الزغادي، السيزة، الطقيرة، التصاوير، البطش، (سلفه والعب معاه!) وابيس، الليبرة، وحلّت واحّل، الزناحة، المقاليع، والنشابة، القيران، نط الحبل، واح، الدرجاحة، الدالية، نط الحبل، سبع صبايا، جمل عاشورا، والعربات التي كنا نصنعها بالتل وعلب الحليب الفارغة.

وأثناء اللعب، ولاعتقادنا في الحظ، واستخدامه ضد الخصم، نردد هذه العبارة: (شمبروخ دجاجة عورة... تمشي وكراعها مكسورة) حتى ينقلب

حظ الخصم ويخسر اللعب، فترسخ في ذهنه، أن تردد هذه العبارة كان لها السبب في الخسارة، وهكذا..

ونستخدم عندما كنا أطفالا عبارات متنوعة تختلف في كل حالة، فمثلا إذا وشى أحدهم بالآخر، أو دل عليه، نعيره، بقولنا: البصاص طويل الراس / اندقوا رأسه بالمهراس. ونستمتع بترديد أغاني الطقوس الشعبية والخرافات، فعند النداء من أجل نزول المطر نقول، (أمك طنبو يا اصغار، جايا تشحت في لمطار)، وعندما تهطل المطر نقول (يا مطر صبي.. صبي .. طيحي حوش الربي، والربي ماعنده شي، امفيت قطيطيسة تعوي، يا مطر يا بشباشا طيحي حوش الباشا، والباشا ما عنه شي امفيت اقطيطيسة اتموي). وإذا فقدنا أحد الأسنان (تبديل أسنان الحليب)، ننتظر شروق الشمس، ونقف في مواجهتها ونرمي السن المخلوعة على أسطح البيوت ونقول (يا شمس يا شموسه، يا عوينة العروسة، خوذي سن غزال وعطيني سن حمار)!

وفي بداية العام الهجري، نقوم بوضع مقدار من الجير على عتبة البيت، أشعارا بحلول شهر محرم، وفي اليوم العاشر، نصوم اليوم، وتقوم كل أسرة بطهي الفول والحمص، ونمر نحن على البيوت، بعد صلاة المغرب، ونردد، (عاشورا عاشورتي تنفخ لي زكورتي، تنفخها وتزيدها.. قولوا من هو سيدها.. سيدها عبد الرحمان.. يأكل في خوخ ورمان)، ثم نتوقف في انتظار أهل البيت، منشدين هذه العبارات: اللي ماتعطيش الفول، يصبح راجلها مهبول، واللي ما تعطيش الحمص، يصبح راجلها يتلمس!!) مما يجعل صاحبة البيت تمدنا بالقليل من البقوليات.

وفي عيد المولد النبوي يوم 12 ربيع الأول، نحتفل بحمل القناديل وغناء

المواويل الشعبية التي نصدح بها مع بقية الأطفال في هذه المناسبة، ونفرح صبيانا وبناتا، ونلبس الجديد ونطلع في الشارع، نحمل القناديل، ونردد:

هضا قنديل وقنديل يشعل فى ظلمات الليل

هضا قنديل الرسول فاطمه جابت منصور

هضا قنديل النبى فاطمه جابت على

هضا قنديلك ياحواء يشعل من المغرب لاتوا

وكان بعض الصّبية الأشقياء يقومون بحرق إطارات السيارات القديمة، وكانت هذه العادة تسمى (الشوّاي) يستمر الصغار إلى ساعات متأخرة من الليل متحلقين حول الإطارات المشتعلة. ونحن على مقربة منهم، نصيح ونقول: الشواي كلاته ريشه!

وفي الصبح أنوضو، عشان نأكل العصيدة، مع الرب أو العسل مع الزبده أوالسمن كما جرت العادة.

وفي الليل نتمتع بزيارة الزاوية الرفاعية، وسماع دقات الطبول والبنادير والأذكار، والمدائح والإنشاد في حب الرسول الكريم، وشراء حلوة الزاوية (حلوة تروني وحلوة الديك).

وعند حلول شهر رمضان نعدو في الشوارع والأزقة ونقول في تحذير للمدخنين (يا شاربين الدخان راهو جاكم سي رمضان)! وإذا ضبط أحدهم فاطرا في شهر الصوم، نجري خلفه صائحين:

(فطار في رمضان، أنديروا كرشة عصبان).

وفي ليال رمضان نغني في الشوارع المظلمة أغاني المناداة والتحفيز على مشاركة القابعين في البيوت على الخروج من منازلهم: (حارنين على القنان... والقمر توا ايبان... ما بو يطلعوا يلعبوا في الزنقة... خوافين من اليهود لابسين طواقي سود...فراغين بلا بارود...خوافين من النصارة... لابسين طواقي بارة!!).

وكانت متعة شهر رمضان في مشاهدة عروض كراكوز بازاما.. والتسكح في سوق الجريد، والتلذذ بأكل السفنز والزلابيا من بوعشرين.. والتجول والإنطلاق في مرح في ميدان البلدية، وسوق الظلام، أشهر أسواق بنغازي، و كان أصحاب المحلات فى أوقات الصلاة يخرجون إلى المساجد دون أن يقفلوا محلاتهم، واضعين أمام مدخل المحل كرسى، أو عصاة طويلة..

ولشهر رمضان مكانة، بسبب عاداته وطقوسه المميزة، والناس يستقبلونه بفرح، فبعد إعلان بدء الصيام، يتم تجهيز المواد اللازمة، والاستعداد، لموائد شهر رمضان العامرة بما لذ وطاب، من التمر والحليب واللبن والماء، الشربة والبطاطا المبطنة والبراك والعصبان والمكرونة المبكبكة.

بعد انتهاء شهر رمضان، يحل علينا عيد الفطر، ونسميه العيد الصغير، وبمجرد أن يهل نستقبله، ليلة العيد، بهذه الأهزوجة، (اليوم كبيرة وبكرة عيد أفرح يا بوثوب جديد).

وفي العيد الصغير بعد الصلاة نلبس دبش العيد الجديد، وكندرة من محلات "باتا"، ونعدي نعيد على الأقارب والأصدقاء والجيران، الذين يوزعون علينا الحلوى والكعك والهدايا والعيدية التي هي عبارة عن قروش قليلة نفرح بها كثيرا، لأنها تمكننا من الذهاب للسينما، أو شراء مسدس ميه، أو بندقة رش!! وانبولات من البخت.

وعند ذهاب الحجيج للحج، هناك تعبيرات وأهازيج خاصة يتغنى بها الصبيان والبنات، فبمجرد سماع الصوت الذي تطلقه الباخرة اليونانية (ماريانا لاتسي) عند مغادرتها ميناء بنغازي البحري، ننشد نحن الصبيان (صلى الله عليه وسلم بابور الحجاج تكلم!). أما البنات فلهن طريقة أخرى للتعبير عن مغادرة الحجيج، بالرقص والغناء: (دج دج دج...باتي عدا للحج... جابنا شوي لوبان... فرقنا على الجيران.... قسمنا على العروس... عطتنا عشرة قروش... قسمنا على العجوز... ضربتنا بالعكوز..).

ثم يأتي عيد الأضحي، أو العيد الكبير كما نطلق عليه، وهو موعد الذهاب الى سوق السعي وشراء كبش العيد، في اليوم السابق، وفي يوم العيد وبعد صلاة الصبح، تتم مراسم ذبح الخروف، والشوايات والقلاية والعصبان والقديد، والزرادي للبكور..

وكان هناك السينمات (الحرية وهرقل وماشيستا، ومحاولة التسلل الى صالة العرض بطريقة خشخشني معاك يا سيدي..).

والمنادي ينادي على بضاعته.. قز..قزيوزع السينالكو والأناناس والبرتيلو. وفي الخارج تباع الزريعة والكاكوية ومستكة السبع وشوكولاطة قرشين.

وفي يوم الجمعة كنا مجموعة من الأصدقاء نذهب إلى سينمات أخرى قريبة وبعيدة مثل سينما النهضة، وريكس وبرنيتشي في البلاد، وهايتي في الفندق، والزهراء في البركة، والشعبية في بن يونس، والوحدة في بوزغيبة، وغيرها. نتمتع بمشاهدة الأفلام المصرية وأفلام الكاوبواي (الطقش) والعيل (البطل) الذي يتفوق على الجميع..

تمتعنا بكل شيء رغم العوز والحاجة، شربنا السحلب الساخن بالقرفة، وأكلنا الفول الطايب، في أيام الشتاء القارص، وبرد يا عطشان، وبزع روح بالخراطة، والجولاطي من عربة سيدي عثمان تربل وفي فصل الربيع تمتعنا باكل القعمول والغرمبوش والبطوم وكريشة الجدي.

مع ملامح شخصيات ما زالت في الذاكرة

والدي المتعلم، المنفتح على الجميع، ووالدتي الحنونة التي غادرت قبل أن أشبع منها!، وباتي فرج (عمي)، وعمتي خويره وعمتي عيشه وعمتي فاطمة، وخالتي وريده وخالتي مبروكة، وخالتي عيشه،وجدي شحوته، وخالي فرج.

وهناك شخصيات أخرى مثل الفقي احميد مؤذن جامع العقيب، والفقي عمران الذي علمني القرآن، والأستاذ يوسف معلم الحساب في المدرسة الابتدائية، والحاجة "خيرية" وهى قابلة قانونية، يهودية ثم اسلمت، ولدت على يديها..

وسى زايد صاحب ألذ هامبورجر أكلته في حياتي، وسى خليفة المتخصص فى إعداد وجبة (الفاصوليا بالكرشه المميزة) وشخصية (كوشت ليبيا) العجوز السمراء البشرة، القصيرة، التي ترطن باللهجة الأفريقية، ولا أعرف ماذا تقول... ودادة (مسعودة)، التي تبيعنا الحمص والفول والكاكوية المحمصة اللذيذة وعوض كشلك الذي كنا نشتري منه الكراسات والأدوات المدرسية واحريف صاحب المقهى الخاص بنادى الهلال الرّياضى، والشاهي بالكاكاوية.

وجارتنا في شارع العقيب "مريم اليهودية"، البيضاء البشَرة، مفرطة البدانة،التي تمضى معظم نهارها جالسة فى شباكها الواسع، الذى كانت تملأه بحجمها وبدانتها التي تعيق حركتها، وقدرتها على المشى، فكانت تُدَلى (قُفة سعف) بها نقود وقائمة باحتياجاتها، وقد اعتدت أنا وغيري من أبناء الجيران على تلبية طلباتها،باعتبارها وحيدة، ولأنها كانت صديقة والدي يرحمه الله.

مصادر: طيارة ورق، سكينة بن عامر قاموس بنغازي القديمة، عمران الجلالي

بنغازيات
منارة اخريبيش

حزمت أوراقي وملمت حاجياتي، وودعت الأصدقاء في أثينا، وعزمت على السفر إلى بنغازي. وبنغازي وإن طال السفر. لا وجود لرحلات جوية مباشرة بين بنغازي وأثينا، ولابد من السفر للقاهرة، ومن هناك بالطريق البري لبنغازي. في القاهرة كان باستقبالي ابن أخي وليد. القادم هو الأخر من تونس، بعد أن استطاع الخروج من طرابلس في بداية الأحداث.. مكثنا يومين في القاهرة ومن هناك ذهبنا بالقطار إلى الأسكندرية التي وصلناها مساء، حيث كان شقيقي سعد، وابن أخي عمر في انتظارنا بالسيارة لنسافر إلى بنغازي، وبعد السلامات والسؤال عن الأحوال، ذهبنا إلى الشقة لنرتاح، وفي ظهر اليوم الثاني، غادرنا إلى بنغازي. وصلنا إلى بوابة الحدود المصرية ثم الليبية فوجدنا الأمور مختلفة والمعاملة طيبة وعلم الإستقلال يرفرف على المكان.

كانت السيارة تنهب الأرض نهبا، وتوقفنا مرة لتناول الأكل والشاهي، ثم وصلنا طريقنا، وهاهي نصف ساعة أو أقل لنصل بنغازي، وبالتحديد عند بلدة توكرة التي أسسها الإغريق، وتبعد حوالي 70 كيلومتر من بنغازي. ومررنا على بلدة سي خليفة، ثم بلدة الكويفية على مشارف

مدينة بنغازي... دقائق وندخل بنغازي من بوابة الكويفية، والأسئلة تلهبت مشاعري وتفكيري وجعلتني كسّابح في الفضاء يغمر كيانه الفرح الشّديد، ويهز وجدانه بأحاسيس جميلة ، إنّها مشاعر فرح وسعادة فاقت كلّ أحاسيس ولحظات الفرح والسّرور التي عشتها طيلة حياتي ، هذه المشاعر تختلف نوعًا ودرجة عن أي مشاعر! مشاعر وأحاسيس هذه اللحظة، لحظة العودة إلى أرض الوطن بعد غياب دام 14 سنة، إلى مدينتي بنغازي التي يحمل لها سكانها عشقاً خاصاً وارتباطاً لا ينفصم عراه، يحبونها بجنون ويسمونها بـ "رباية الذائح".

أول ما يلفت انتباهك بمجرد دخولك بنغازي عبر مدخل الكويفية هو اختفاء اللون الأخضر واليافطات والخرقة الخضراء، وصور القائد الملهم وشعارات الكتاب الأخضر التي كانت تصادفك في كل مكان في مدينة بنغازي، المدينة، التي وصفها الشّاعر الدّكتور علي السّاحلي يرحمه الله، بقوله:

قالوا هنا بنغازي قلت وهل سوى

بنغازي ملعب صبوتي ومراحي

بنغازي مهد طفولتي وفتوتي

ورجولتي وكهولتي وكفاحي

أزكي من الريحان ريح سباخها

بل من أريج المسك والتفاح.

في الطريق إلى وسط المدينة مرينا على اللثامة، والزريبعية ودكاكين

حميد والصابري.. عرجون الفل... الصابرى عمره ما ذل الصابري زين على زين.. الصابري ورد وياسمين. حيث البيوت القديمة العامرة بالحب والمودة، والحصران الممدوة في الشارع، وطاسة الشاهي الخضرة.. الصابري.. زرائب العبيد حيث الدنقة والغيطة والرقص... الصابري.. الرياضة ومنها خرج اقدم فريق رياضي ليبي عام 1926، وفي الفن والأدب، آل زغبية (الأدباء محمد وخالد وإبراهيم)، المخرج المسرحي داوود الحوتي، والكاتب المسرحي علي الفلاح، ومن زرايب الصابري، خرج الفنان الشعبي احميدة سعيد الوداوي "الشهير باحميده درنة" صاحب الصوت الرقيق العذب القوي، وأغانيه المرسكاوية الشهيرة ومن أمثلتها:

نريد نرسلك تمشيش ياشوشانه

تجيبى خبر ريدى ووين مكانه

****

نريد نرسلك تمشي له

بوعين سوده لابس التكليله

من فرقته جردى غلبنى شيله

فى وسط قلبى والعه نيرانه

****

نرسلك ياجاره

تجيبى خبر ريدى ووين دياره

من فرقته قلبى شعيله ناره

جانى الخبر نازل على زيانه

****

نرسلك لاغادى

لبوعيون يرزن فالتات عوادى

من فرقته قلبى انحرق م البادى

قالوا مريض وحالته تعبانه

وفي الأعراس الشعبية يغني، أغنيته الشهيرة:

سيدي الفقي لو ريت بوتكليلة. يحرم عليك الدرس ما تمشيله. والتبرويلة تقول:

أنت يلي شالك لاويه.... جرحت الخاطر روف عليه

شالك ملفوف..

خمسطاشر لفه عالجوف

الخاطر من عشقك ملهوف

طلب مرّة في العمر عطيه

وانت ياللي شالك لاويه

وعلى وقع هذه الأنغام الجميلة نواصل طريقنا بهدوء و...

نقترب من شط توريللي، قرب شاطئ البحر وبجوار منارة إرشاد السفن العتيقة "منارة خربيش"، المنارة التي شيدت عام 1935م،

ويبلغ ارتفاعها 41مترا. وتقوم عائلة بشون على خدمتها منذ سنوات طويلة، وكانت تستخدم فى أكثر من غرض.. فيها خزانات لمياه البحر، ومياه الشرب وفى أزمنة سابقة كانت مصدرا للحياة فى حى خريبيش القديم.. إضافة إلى كونها تهدى السفن القادمة للميناء لتلافى الأماكن الوعرة فى البحر ولتلافي أخطارها.. ولقد كان لذلك الحي شوارعه، وأزقته، ومساجده العريقة،مثل جامع المدنية وعمره أكثر من مائة عام، وشخصياته الشعبية، المطرب الشعبي علي الجهاني ـ عليويكه، واغانيه الشعبية التي طالما أمتعت عشاقه.."يا طير سلملي علي غاليا. سلاماً يرد الروح ترجع ليا دابين حى الشمس وأنا واعى. وليا غربت يلفن عليا أوجاعى". ومن ألحانه المميزة أغنية "شاطت نارك في كنيني واقده. وانتي ما تسالي عليّ راقده". وأغنية "لوكان يابه خاطرى يهنيني. "كما غني عشرات الأغاني التي ساهمت في إثراء الفن الشعبي الغنائي الليبي.

وفي تلك الأحياء، عاش الرياضي أحمد بشون، والمطربين محمد مختار، محمد صدقى، على الشعالية "، ولـ "سي خريبيش" أفراحه، وغيطته المميزة في الأعراس "الطير الابيض وارد على البير، متحزم بحزام حرير... قولو لمي يانا المريض، سبب دايا بوحزام عريض! الغيطة لنا يا كذاب بحرية وعيال بلاد"!

ونصل بحر الشابي... ويجرنا الحديث إلى السجن القديم، وهوتيل نجمي ومطعم بوذراع.. وسي ونيس بوذراع وشقيقه فرج، والفرجاني منينة ومصطفى السنفاز وسالم ورمضان الشركسي، الذين تطوعوا للجهاد في فلسطين في عام 1948 ضد قيام دولة الصهاينة، في الشابي، نجد الزاوية الرفاعية وسي المغربي الشريف شيخ الزاوية، وجامع بن كاطو،

وعن ازقة وشوارع المنطقة، عن سالم بشون ملحن النشيد البرقاوي، "نحن ياليبيا الفدا"، كلمات المرحوم الأستاذ محمد بشير المغيربي. ولسالم بشون قصيدة مشهورة هي قصيدة من ألحان الزمن الجميل وهي "الأرض" أداها الراحل محمد صدقي.. وتقول كلماتها:

هذه الأرض هي العرض لنا

قد سقينا تربها من دمنا

كيف نرضى أن نراها وطنـا

لعدانا أو سوانا أبدا أبدا

ومن تلك الأحياء، خرج الفنان رجب البكوش مؤسس المسرح في بنغازي عام 1936، والشاعر الغنائي مسعود بشون، صاحب أعذب الكلمات في الأغنية الليبية، ومنها أغنية "ريدي اليوم باعث لي سلامه. بعد الياس جا امجدد غرامه"، التي أداها المطرب محمد رشيد. كما كتب كلمات أغنية "يطق القلب وامجور عليا.. ابد شوق من ماضي الغية" من أداء نوري كمال.

وعاشت في المنطقة الكثير من العائلات الليبية العريقة مثل عائلات: بودلال، بوذراع، حويو، الربع، باله، الهباب، البكوش، البناني، الشابي، النخاط، بوحلفاية، الصلابي، القاضي، شمبش، المغبوب، العنيزي، الكوافي، الصادق الورفلي، زغبية، الطواحني، ماعونة، الماقني، بشون، بوحلفاية، قرقوم، المغربي الشريف، نجم، السعداوي، العدولي، النعاس.

ومن هناك إلى ميدان سوق الحوت ومنه إلى شارع العقيب.. مسقط الرأس.. حيث تجمع خيرة عائلات بنغازي، الذي ربطت بينهم على الدوام أواصر حسن الجوار، والمحبة والأخوة: بسيكري، بن حليم، البابور، بن عامر، المخزومي،

عثمان الصادق، الفلاح، التركي، بن صويد، الضراط، بوسن، سميو، بن هلوم، بوجازية، الكيخيا، كريميش، الزغيبي، سحيم، البسيوني، الدرفيلي، كدوم، قيني، تربل، اطلوبة، النعاس، المساك، الدراجي، إلى جانب عائلات إيطالية ويونانية، سكنت فيما كان يعرف بالحي الأوروبي من المدينة.

عندما عدت للمرة الثانية من اليونان إلى بنغازي كان ذلك في يوليو من عام 2011 ،شعرت بشعور مختلف، و بارتياح كبير وطمأنينة عميقة. وبسبب ما حدث في 17 فبراير، عدت إلى بنغازى التي أعرفها. لكنى لم أجدها يا عمر الصغير وشعرك الحرير الذي كان طويلا أسودا. فقط كانت أطلال تبكينا كما نحن نبكيها. وكثيرا ما تذكّرت كيف كانت. كنت أطوف بنغازي من الصباح حتى غروب شمسها الباكر الذى أشاهده وأشهده كل يوم من عند "الكابترانيا" التي لا تبعد عن بيتنا إلا بأمتار قليلة، بعد أن أمر على الكنيسة الكاتدرائية وأسمع زقزقة العصافير عند كشك عمران، وأظنها قد رحلت هي الأخرى. ماذا أقول ولمن أشتكي يا عمر. فالدموع غلبتي وتساقطت دون إرادتي على "الكي بورد"... آه ثم آه... لماذا ورطتني وألحيت عليّ كي أكتب هذه الذكريات الجميلة والأليمة في نفس الوقت.. ذكريات أريدها أن تعود، ولكن هيهات. أو كما قال الشاعر محمد بن عبد الملك الزيات يشتكي مصابه ويذكر فجيعته ويبكي على زمانه:

عَرِيت من الشباب وكنتُ غَضّا

كما يعرى من الورق القضيبُ

ونُحْت على الشباب بدمع عيني

فما نفع البكاءُ ولا النحيبُ

فيا أسفا أسِفتُ على شباب

نفاه الشيبُ والرأسُ الخضيبُ

ألا ليت الشبابَ يعودُ يوما

فأخبرهُ بما فعل المشيبُ

عدت يا عمورة لاستعادة أسماء وذكريات قديمة، لا لمجرد التذكر فقط، بل أحاول استعادة روح المكان والزمان، وعبق الأزقة والشوارع المنسية، وملامح وجوه العابرين في حياتنا منذ سنوات وسنوات علنا نشعر بشيء من الدِفء والطمأنينة في زمن متسارع سبر أغواره.

ذلك الزمن الطيب الجميل الذي كان الناس فيه سعداء بشكلٍ ما رغم الفقر وضنك العيش. زمن مظاهر الحياة البسيطة. الأسواق وملاعب الكرة والمسارح والأسواق الشعبية. المطربين، أصحاب الحرف، الثقافة والفكر في بنغازي، أعلام وأسماء في تاريخ بنغازي تكاد تسقطهم ذاكرة الأجيال الجديدة.

لكن لم أجد أشياء كثيرة أحببتها وعشقتها وميزت بنغازي عن باقي المدن، ولعلها سنة الحياة والتغيير الذي طال كل شئ. لم أجد جريدة الحقيقة وكتابها الرائعين الذين استطاعوا، بصدق كتاباتهم ودف المشاعر الطاغية بأحرف كلماتهم أن يوقفوا الناس طوابير أمام أكشاك بيع الصحف منتظرين مقالاتهم. لم اجد بنغازي الطرب الاصيل، شادي الجبل السيد بومدين "طولتي الغيبة". والشعالية "نور عيون" وعمر المخزومي "شقيت في غيابه اليوم لاقاني وطى النظر ما تقول عمره راني" ومحمد صدقي"طيرين في عش الوفا" ومحمد مختار "يا

عزيز عليا مبروك عيدك"، الوردة الليبية الفونشة "الرجا يا عيني". عطية محسن وعادل عبد المجيد. ووجدت طغيان موسيقى الراب الشبابية!

لم أجد هوتيل "عمر الخيام"، بل وجدت أمامي ينهض مبنى مهجور يملأه الحطام والركام، بعد أن كان زينة بنغازي. لم أجد حافلات النقل العام، بل باصات الربع جنيه التي وفرت على الحكومة، حل مشكلة المواصلات في دولة نفطية! وجدت سينما البرنيتشي على حالها لسنوات طويلة تتعانق وتتعالق عليها (السّقالات)، مع وقف تنفيذ أعمال الصيانة.

غابت "ديار جليانة" وغاب سوق الظلام، وشجرة الميدان، وضريح المختار، ومدرسة الأمير، وتعرض مبنى البريد المركزي للإهمال. ومازالت المدينة الرياضية تنتظر الصيانة! وبحيرة 23 يوليو إلى التنظيف، وكورنيش بنغازي إلى استكمال طريقه!. وأطلق صرخة من أجل الحفاظ على بيت شاعر الوطن أحمد رفيق المهدوي الذي نعتبره معلماً من معالم المدينة، وجزءاً هاماً من ذاكرة الأمّة والأجيال. البيت الذي كان يسكنه شاعرنا الكبير يشكو من تصدع وتهالك في الجدران، وانهيارات أخرى ربّما تقضي على هذا المبنى الأثري الهام.

ومن أجل الاهتمام قبل فوات الأوان، بواحد من أقدم جوامع بنغازي، وهو جامع عصمان الذي يعاني من حالة الإهمال التي يتعرض لها. وحاجته الماسة إلى الصيانة قبل أن يتهاوى وينهار. والمحافظة عليه، باعتباره معلما بارزا من معالم المدينة. وتأسفت على عمارة (السرقسيوني) المتهالكة، التي من الممكن أن تسقط فوق رؤوس المارين من تحتها في أي لحظة! آلمني إطلاق النار الكثيف، ورمي الجولاطينا، وترويع الأطفال والشيوخ والنساء في الأفراح والأتراح!

لم تسرني مناظر الجلابيب السوداء المتنقلة المنتشرة في البلاد. وكأن التدين والتحجب. لا يتحقق بلبس ملابس محتشمة بألوان زاهية تسر الخاطر!

رأيت المجاري الطافحة في أشهر شوارع وسط بنغازي. والقمامة المتكومة في كل مكان! سمعت عن أحياء عشوائية ومدن صفيح. يعاني سكانها من عدم وجود خدمات كافية من مياه وكهرباء وفرص عمل. فيما تحيط منازله برك مياه الصرف الصحي التي تتكاثر بها الحشرات. خاصة الناموس. سمعت عن قصص المدرسين والمدرسات المقلصات الذين تم استبعادهم من وظائفهم في عهد القذافي. وينتظرون تسوية أوضاعهم. وقصة جماعة توزيع الثروة ومن يستحقها؟ المنظومة. إعادة الهيكلة وأشياء أخرى لم أفهمها!

لاحظت اختفاء سوق الحوت والباعة ينادون على البضاعة "هيا قرب" و"الشولة" بجنيه ونص بس! هيا قرب على الحمراية! والحوت والصبارص والليم القارص!!

شاهدت صور جريمة هدم مقر النادي الأهلي عـــام 2000 هذه الجريمة الوحشية في حق نادي ليبي رياضي ثقافي اجتماعي. وفي واقعة هي الأولى من نوعها في العـالم في عهد الساعدي معمر القذافي رئيس الاتحاد العام الليبي لكرة القدم. الأهلي صاحب التاريخ العريق والبطولات. الأهلي ابن صويد والمكي والعفاس والبشاري ومرسال وونيس خير والبرناوي والزاوي والحشاني والفزاني والخطيطي وبن صريتي وخميس الفلاح.

رأيت الشباب العاطلين عن العمل في نواصي الشوارع يقتلون الفراغ. ويقتلهم في رأس الشوكة! ورأيت المظاهر المسلحة وتهورات بعض الشباب

التي قادت إلى مآسي وكوارث أدت بأصحابها إلى المستشفيات. شعرت بالألم، عندما تجولت في شوارع ما يعرف، المدينة القديمة، الذي يسمونها في أوروبا "المركز التاريخي". فالإهمال وعدم التطوير، وعمليات الهدم والتخريب على يد لصوص المدينة القديمة، تسبب في ركود المدينة الاقتصادي والعمراني والتجاري الذى شهدته في الماضي، وأفسد معالمها التاريخية.

والكارثة واضحة بشكل خاص في منطقة سوق الحشيش، التي كانت بمثابة القلب الروحي لمدينة بنغازي، و اكبر أسواقها. ومن هذا المنطقة، خرج أعلام بنغازي في شتى المجالات (الصادق النيهوم، خليفة الفاخري، خديجة الجهمي، أحمد الرويعي، محمد عبد الرازق المناع، يوسف الدلنسي، النقابي رجب النيهوم)، وهذه المنطقة، ممكن أن تتحول بقليل من الجهد والاهتمام إلى مكان لمهرجان شعبي دائم بأزقته وشوارعه ومبانيها الفريدة. ولا أستثني من ذلك باقي شوارع المدينة، فهي اليوم من الناحية المادية شبه ميتة، فقيرة مدقعة متهالكة البنيان، نتيجة الإهمال والعقاب شبه الجماعي لأهلها.

انتشار محلات الأكشاك العشوائية وبيع السجائر، وغسل السيارات في الشوارع والساحات، والمبرر، ندرة الشغل عند الشباب! قلت أحسن من بيع أشياء أخرى ممنوعة!

في المآتم غابت قراءة القرآن على روح الميت، وعوض عنها، بدأنا نسمع إطلاق العيارات النارية في الهواء، إلى جانب عادة الأكل بعد تقديم واجب العزاء في السهرية، تأتي قصاعي الأرز واللحم مع الفلفل الأخضر، وفجأة تنقلب الكراسي البلاستيك البيضاء، وتتحول إلى مائدة (شرط وضع الرجل عليها لحفظ التوازن)، ثم كشف الغطاء والتقاط الملاعق، وهاك

يا رز وهاك يا لحم. خلال دقائق تختفي القصاع، ويبدأ الصغار في توزيع طاسات الشاي الخضرة والحمراء..!

لم أجد شخصية عرفتها وكثيرا ما ترددت أنا وأصحابي مشجعي الهلال على بيته، بيت الكرم، شخصية لا أبالغ إن قلت إن كل سكان هذه المدينة يعرفها، شخصية اشتهرت بالمرح والود والألفة، وإطلاق النكات والقفشات الضاحكة، التي كانت ترددها المدينة في حلقات سمرها.. إنه حسين قرقوم الذي عرفه الناس بلقبه الشهير (الحيطة).

وكان الناس في بنغازي، يرددون نكاته وقفشاته الشهيرة التي منحه الله قدرة عجيبة على ارتجالها بسلاسة وخفة دم كبيرين. ووجدت خالتي رجعه، أصغر خالاتي، والوحيدة الباقية على قيد الحياة، خالتي الطيبة الودودة، الذي طالما أكلت ألذ خبزة "حلوزي" من يديها شفاها الله.

وسعدت بلقاء أصدقاء الكورة سعد الجازوي ومنصور العبار، وبرهوم، ورفاق المدرسة توفيق بن علي، وفوزي فطنة، محمود الفلاح، وحسين الفرجاني وأنور طلوبة، وحسين عبد الله عثمان، وشلة المسرح الحديث خليفة الحوات ومفتاح بادي، وشلة اليونان عبد السلام المجدوب وفيصل الورفلي، وصلاح الغول، وصالح الشريف، وشريف بوقرين، وعادل الغول، واحميده الطيناش، ومصطفى الطراح، ومحمد المجبري، وناصر العنيزي، ورفقة الطفولة عقيلة بسيكري، عصام الدراجي، مادي تربل، ارحيمة وإدريس الدرفيلي، زكريا وحسن التركي، ورمضان قيني، ومحمد الكيخيا، ومحمد الشويهدي، عبد السلام الدراجي.

ومن شارع العقيب أنتقل إلى حي سيدي حسين، حيث انصهر الجميع الغني والفقير، العالم والجاهل. كان التعاون والتسامح وصلة القربى

وقوة الصداقة سمة ظاهرة بين سكانه. ومن بين شوارعه وأزقته. خرج أبناء ساهموا في العطاء من وزراء "عبد القادر البدري" أساتذة عبدالمولي دغمان أستاذ في الجامعة الليبية. وأكاديميين لمهندس سليمان عبدالقادر المراقب العام للإخوان المسلمين. ومهندسي طيران وحرفيين ومهنيين مهندس اتصالات عبد الله شحات. وكتاب وشعراء ومنهم شاعرنا الراحل الكبير محمد الشلطامي وأدباء ومشايخ دين الشيخ سالم زوبي. ورياضيين فرج ساطي ظهير أيمن فريق الأهلي.

وهناك مازال يقطن خالي منصور شحات. الذي وهبه الله خفة الدم والقدرة علـــى الضحك والإضحاك. وسرعة البديهة. وارتجال الشعر. وملاصق لسيدي حسين هناك (حي السكابلي) ببيوته الجميلة وعبير زهوره وورود. والجيرة السمحة مع المسؤولين في العهد الباهي. أحمدالصويدق وزير الرياضه وبعدين الاقتصاد. عبدالحميد العبار رئيس مجلس الشيوخ حسين طاهر عضو مجلس شيوخ وكان وزير صحه. الزعيم السنوسي لطيوش قائدالجيش. حامدالعبيدي وزير الدفاع وبعدين التخطيط.

لا استطيع من خلال زيارة لمدة شهر او اكثر. أن أوجز في مقالة. أو أن أرسم الصورة الواقعية للحياة الاجتماعية الفعلية للحال الليبية من خلآل الأحداث والوقائع. ولكني حاولت رصد جملة من المشاهدات والصور التي مرت علي أثناء إقامتي القصيرة ومن خلال قصص رواها لي الأصدقاء والمعارف.

لا أستطيع أن أخفي عليكم بأن الكثير من الأمور تغيرت ولكن أكثر شيء تغير هم الناس. وعندما أقول الناس فأعني بذلك طباعهم. فالوجوه هي نفسها. ولكن الطِباع تغيرت. والسلوكيات كذلك. لعل التغير أو التبدل في أحوال الناس والثقافات والمجتمعات شيء طبيعي.

من الناس من باع نفسه للشيطان الأكبر، ومنهم من ظل وفيا لمبادئه وقيمه. منهم من دخل السجن الصغير، في معتقلات القذافي، ومنهم من بقى في السجن الكبير، تحت مراقبة الرجل الأكبر! منهم من ارتضى بالعيش الكريم، ومنهم من نهب وسرق وباع الشرف والوطن! دفع الثمن ولم يقبض إلا الريح! منهم من سافر وتغرب، ودفع أطفاله ثمن الغربة! منهم من دخل في صراع الإخوة الأعداء على الأرض والرزق والميراث، بعد أن فرقت بينهم الزوجات والأبناء! منهم من ترك مقاعد الدراسة والعمل والمستقبل المنتظر، ليذهب ليشارك في معركة التحرير، طلبا للشهادة دفاعا عن الأرض والعرض. إنها بنغازي.. أحببت شوارعها. أزقتها.. أحياءها.. مقابرها.. مطاعمها.. مقاهيها. ملاعبها. سباخها. ملحها.. غبارها.. شمسها الشارقة والغاربة.. قمرها الخجول.. بحرها المتماوج.. منارتها الأبدية الومض.. أعلامها الطيبين.. مفتاح الهنديانى.. بازامة.. شركَة.. حيطة.. احميده فاصوليا.. بابا سليم.. ورددت مع صغارها أغاني مازالت عالقة في ذاكرتي..

يا ليل ياعين بين البركة وسيدي حسين..

ياليل ياعين طول السلك يودر يبرة..

يا ليل يا عين يلعن جد سواني تيكا..

يا ليل يا عين واللي حج مع الدوكالي..

مصادر: أحمد محمد العنيزي، موقع جيل ليبيا

مقاهي بنغازي
صحبة وأنا معهم!

لا يحلو السهر والسمر في رمضان هذا العام الذي يأتي مختلفا وبطعم خاص، خاصة بعد غياب طويل عن ارض الوطن، إلا بالجلوس في المقاهي، أو ما يعرف في بنغازي باسم (القهوة) كناية عن المكان الذي تحتسى فيه فناجين القهوة. وقد اخترنا نحن شلة الفنانين والصحفيين مكانا نجتمع فيه كل ليلة من ليالي رمضان، هو مقهى سوق الحوت (سوق الأسماك) حيث توجد واحدة من أقدم المقاهي في وسط المدينة، نحتسي الشاي الأخضر، والقهوة العربية وقهوة "المكياطه" التي هي عبارة عن قهوة اسبرسو إيطالية يضاف إليها الحليب أو القشدة. كما تقدم النارجيلة أو ما يعرف بـ "الشيشة". نتجمع في هذا المكان المفتوح، نشاهد القنوات الفضائية، لمتابعة أخبار معارك الثوار على جبهات القتال في مصراته والبريقة والجبل الغربي، ضد كتائب الطاغية القذافي. نتناقش في كل شيء بحرية وبدون محرمات، في المسرح وبرامج التلفزيون، مشاكل الشارع الليبي، ننتقد سياسات المجلس الانتقالي، وساحة التحرير، وهي أشياء افتقدناها لسنوات طويلة.

صحبتي في هذه الأمسيات الرمضانية كوكبة من أهل الفن

والصحافة، هم المسرحي علي الفلاح، الحريص على تزويدنا بآخر الأخبار الطازجة من جبهات القتال وأخبار النت والفضائيات، ويضيف إليها تحليلاته ونقده للأوضاع. والمخرج التلفزيوني مفتاح بادي، وسخريته وقفشاته اللاذعة. والكاتب الساخر أحمد التهامي، وملاحظاته الذكية، وضحكته المميزة. والفنانان أسامة بركة ومحمد القلاي، وحضورهما المميز في طرح الأسئلة وفتح باب الحوار والنقاش في قضية معينة. والمبدع أحمد العريبي، وكاميرته الذكية التي ترصد كل التفاصيل. والمؤلف المسرحي خليفة الحوات، الذي لا يحضر بانتظام، لكنه دائما يأتينا بالجديد! والممثل محمد الصادق، وانتقاده وملاحظاته حول أداء الإعلام الليبي، بعد ثورة 17 فبراير.

والصحفي المصري المخضرم براء الخطيب، ومشاريعه الصحفية، وحكاياته المثيرة، إلى جانب المخرج عادل الفيتوري، وحكيم الزياني، وأحمد بوقرين. وهذا المقهى الذي نرتاده يوميا، يمكن اعتباره مقهى ثقافي، مثل غيره من المقاهي الثقافية المنتشرة في الكثير من البلاد العربية، التي أصبحت بعد تجاربها الرائدة مقاه لنشر الثقافة، تجتمع فيها الفعاليات الثقافية، تداول فيها الأفكار، وتنتقل من النخبة ليمتد تأثيرها على عامة البشر.

وقد نجحت تجربة المقهى الثقافي في ليبيا، وازدهرت في الخمسينيات والستينيات وحتى بدايات السبعينيات، وشكلت المقاهي في بنغازي جزءا كبيرا من التكوين الثقافي والاجتماعي. وكان لها تأثير كبير على المجتمع الليبي. وكان للمثقفين الليبيين دور مهم في نشر الوعي السياسي بين عموم الشعب، الذي تحقق بفعل اللقاءات، التي تحولت إلى ما يشبه الصالونات الأدبية والفكرية، وكان لها الأثر الكبير في خلق مناخ ثقافي

متميز، إلى أن اندثرت تلك العادة، بزوال روادها، لعدة أسباب منها، سعى النظام إلى تخريب المقاهي، ووصل الأمر في الثمانينيات، إلى إغلاق بعضها بحجج مختلفة، أو إلى تحويل إدارة المقاهي من الأفراد إلى الدولة، من اجل التجسس على روادها، لخوفه من خطر تواجد مجموعة من الناس في مكان واحد، وحتى لا يتحول المقهى إلى مركز للمعارضة لسياسته، فعمل بكل جهد ضد ثقافة المقهى بعمومها.

ومن أشهر مقاهي مدينة بنغازي، التي كانت تضم صفوة ونخبة المجتمع في ذلك الوقت، مقهى العرودي بميدان البلدية، الذي كان من أشهر رواده شاعر الوطن أحمد رفيق المهدوي، وكان له كرسي دائم في المكان، وكانت نخبة من الشعراء الشباب منهم الشاعر الكبير رجب الماجري يلتفون حوله. وهو ما كان يشكل صالونا أدبيا، بمعني أن المجتمعين كانوا يتدارسون فيه الأدب والثقافة وبالتالي يساهمون في تطوير ثقافة المدينة.

وهناك مقهى الترهوني، الذي كان مفضلا للشاعر على الفزاني. ومقهى سوق الحوت، حيث كان الشاعر المرحوم عبد ربه الغناي، يجلس فيه بانتظام. ومقهى العمال بشارع عمرو بن العاص، ومن أشهر رواده الأستاذ طالب الرويعي، والقاص المرحوم يوسف الدلنسي، والنقابي المرحوم رجب النيهوم. أما الأديب الراحل خليفة الفاخري، فكان دائم التردد على المقهى الرياضي في ميدان الشجرة، وعلى مقهى دمشق في شارع عمرو بن العاص.

وكانت هناك مقاهي شهيرة أخرى في مدينة بنغازي، مثل مقهى "سي عقيلة" بشارع نبوس بالقرب من المطبعة الحكومية، وحيث كان يجلس مجموعة كبيرة من الصحفيين والأدباء، منهم الأستاذ أبوبكر

عمر الهوني، حسن مسعود عثمان، رشاد الهوني، والأستاذ محمد على الشويهدي، وبكر عويضه، وأيضا المرحوم السنوسي الهوني، والأستاذ أحمد الحريري، والأستاذ محمد اوريث، والأستاذ أنيس السنفاز، والأستاذ عبد الرازق بو خيط.

إلى جانب مقاهي أخرى مثل مقهى شمسه، ومقهى الترهوني، ومقهى بالتمر. وجميع هذه المقاهي تقع بشارع عمرو بن العاص. هناك أيضا، مقاهي بأقواس الفندق البلدي، مثل مقهى الشامالي، ومقهى هلال، وأمامه، مقهى الطرابلسي، ثم مقهى الحاج بريك بسينما هايتي، ومقهى المجذوب، وكذلك مقهى بوبكر بن قبلية بسوق الجريد، عند مدخل شارع بالة. ومقهى المجدوب، ومقهى العبود بشارع بن شتوان وهو امتداد قصر حمد، ومقهى ستالين بشارع الشريف، هناك أيضا مقاه مثل مقهى نجمي على الكورنيش، ومقهى ميدان الحدادة، ومقهى تيكة أمام البريد الرئيسي، ومقهى أكرم في شارع عمر المختار، وهناك كان يتردد، الناقد حسين مخلوف، والاديب محمد وريث.

وفي منطقة البركة - مثل مقهى بن غزي - وفي سيدي حسين - مثل مقهى بوزغبية. ومقهى الوحدة العربية في شارع قزير، ومقهى علي العربي، بجانب مصرف الوحدة، ومقهى البحارة بشارع فيتورينو، ومقهى التونسي بشارع مصراته.

وفي السنوات العشر الأخيرة، ظهر على السطح، مقهى المنتدى الإذاعي الذي كان يديره بجدارة، سالم الزياني، وهو ملتقى الشعراء والأدباء والفنانين، والإعلاميين. وقد جرت عدة محاولات لاغلاقه من رجال النظام، بحجج مختلفة. إلى جانب مقهى الغزالة في ميدان الشجرة، حيث

يلتقي الأدباء والنقاد ومنهم الشاعر والكاتب الحبيب الأمين، والكاتب الصحفي زياد العيساوي، والكاتب محمد سحيم، والكاتب الصحفي عاطف الأطرش.

إنها دعوة للاهتمام بتاريخ المقاهي في بنغازي وتوثيقها، خدمة لتراث هذه الأمة، لتعود للقيام بدورها الثقافي، المتمثل في هذا التجمع العفوي اليومي، ومع شرب قهوتك اليومية، تقرأ جريدتك الصباحية، ليبدأ يوم جديد على ليبيا الجديدة الحرة.

مصادر: محمد عقيلة العمامي، مدونة بنغازي عبر التاريخ، مراد الهوني

بنغازي
شيء من الذكريات

تحكي كتب التاريخ عن أنها كانت مشيّدة عندما تم تأسيسها في الربع الأول من القرن السادس قبل الميلاد كمدينة يونانية قديمة، فوق مرتفع من الأرض يطلق عليه في الوقت الحاضر (سبخة السليماني) وتوجد بها (مقبرة سيدي عبيد)، وكانت هذه السبخة في زمنها القديم عبارة عن بحيرة عميقة، حين تم تجفيفها تحول سكانها عنها متخذين مكانا قريبا من ساحل البحر الأبيض المتوسط، وهو المكان الذي يطلق عليه حاليا (سيدي خريبيش) وتوجد فيه مقبرة تحمل هذا الاسم، في الوقت الذي استطاعت فيه أرضه الاحتفاظ ببعض البقايا الأثرية، لكنها في كل الأحوال لم تكن بنفس حجم الآثار التي كان يتوقع وجودها في مدينة مثل بنغازي، التي شهدت العديد من الأحداث المهمة في التاريخ، ومر عليهاعشرات الغزاة والمقامرين والفاتحين، واختيرت مركزا للحكم ونقطة ارتكاز مهمة في معظم العصور.

و(بنغازي) التي كان يطلق عليها في الأسطورة (حديقة التفاح الذهبي) بعد أن أهدتها الأرض إلى الآلهة (هيرا) في مناسبة زواجها من كبير الآلهة (زيوس)، عرفت عبر تاريخها بأسماء عدة من بينها

(يوسبريدس)، كواحدة من أوائل المدن اليونانية القديمة قبل أن يتحول اسمها في العصر البطلمي إلى (برنيكي) عقب زواج بطليموس الثالث من أميرة البلاد في ذلك الوقت (برنيكي) ابنة ماجاس ووريثة عرشه والتي قام ابنها فيما بعد باغتيالها، لكنها أصبحت (برنيق) في الفترة الإسلامية، حتى أطلق عليها (بنغازي) اعتباراً من القرن الخامس عشر الميلادي نسبة إلى مقبرة الشيخ المدفون فيها.

وكان تاريخ بنغازي مع الإسلام قد بدأ اعتباراً من العام 642م، حين قاد عمرو بن العاص جيوش الفتح الإسلامي إلى ليبيا متخذا من مدينة (باركي) عاصمة، بعد تحويرالاسم إلى (برقة) وإطلاقه على الإقليم الذي كان في السابق يسمى (كورينايكا) نسبة إلى مدينة (كوريني). ويتقاطع تاريخ تلك المدينة وتختفي الكثير من أحداثه عبر سنوات طويلة مجهولة، إلى أن يسجل أنه عقب الفتح الإسلامي بنحو أربعمائة عام تشهد المدينة هجرات (بني هلال) و(بني سليم) وتعرضها لما وصف بالاضمحلال. ثم تضيع أربعمائة سنة أخرى من الوقائع التاريخية للمدينة، ليسجل بعد ذلك إطلاق اسم (ابن غازي) تم في العام 1450م، وهو الرجل الذي تقول بعض الروايات أنه قاد عدداً من التجار قدموا من مدن (مصراته، تاجوراء، زليتن، مسلاتة) ووفدوا على بنغازي التي سميت (ابن غازي) ثم (بني غازي) وهو الأسم الحالي.

هذه هي بنغازي كما قال التاريخ. أما بنغازي الذي أعرفها فأقول فيها، لقد نسيت كل أسفاري وماعدت أستطيع أن أذكر ملامح أية مدينة في العالم سوى مدينة واحدة أذكرها. أذكرها طيلة الوقت. تركت جزءا هاما من حياتي فيها. في أزقتها وشوارعها وميادينها وأشجارها

وشواطئها.. في عيون وضحكات أطفالها، وكبرياء رجالها ونسائها، وأناسها الطيبين

إنها بنغازي. شارع العقيب حيث تفتح العينين النهمتين على الحياة. وسعاية شارع الحشر ولعب الكورة والبطش والتصاوير والليبرة والوابيس. والزغادي. نادي النجمة. ودكان التركي. مدرسة اللواحي.. شارع البزار وشارع قصر حمد.. جامع السنوسية والفقي عمران.. كوشة الصالحين.. وحوش منينة.

ميدان الشجرة.. سينما النهضة. المقهى الرياضي. عمارة بن هلوم. الكنيسة. سينما الحرية. بردوشمو. الميناء . الكابترانيا. الجامعة الليبية. سينما ريكس. سينما برنيتشي. ونادي الاهلي.

سوق الحوت. السيقراسيوني. الجابية. بودراع. جامع بن كاطو. البريد

شارع أدريان بلنت. الإذاعة. مفوضية الكشافة. نادي الهلال. بحر جليانة. قاريونس. شارع قزير. الشابي. الزاوية الرفاعية. سيدي خريبيش. التوريلي. اللثامة. والمنقار

ميدان البلدية. شارع سيدي سالم. بوعشرين. سوق الظلام. ميدان الحدادة. الجامع العتيق. سينما 9 أغسطس. سوق الجريد. وسوق بوغولة.

شارع عمرو بن العاص. مقهى دمشق. السفارة الإيطالية. مطعم سي خليفة. السكابلي. مدرسة الأمير. المدرسة الإيطالية. المدرسة النموذجية. مكتبة الخراز. المطبعة الحكومية. مطعم بوحلفاية. مدرسة الأميرة. ضريح عمر المختار. معمل شفيق. الفندق. سينما هايتي. ونادي التحدي.

الصابري.. سيدي عبيد..سوق احداش.. السلماني.. ورأس عبيدة.. الحميضة.. بوزغيبة.. الماجوري. سيدي حسين .. الجبانة.. مدرسة التحرير.. مدرسة سيدي حسين.. أحميده فاصوليا.. السيلس.. ملعب 24 ديسمبر.. الكيش.. السبالة.. سيدي عبد الجليل.. البركة.. الرويسات.. شارع عشرين.. وشارع الكاروات.

الفويهات. الداقادوستا. البوسكو. الملاعب الخمسة. جريدة الحقيقة. وشارع البيبسي.

فنجان قهوة في أقدم مقاهي بنغازي
مقهى تيكة

عند الحديث عن أي مدينة لا نستطيع أن ننسى الحديث عن المقهى الذي يمثل جزا مهما من ثقافة المدينة، بمجموعة قيمها ومفاهيمها التي تتحكم في سلوكيات أهلها.

تعتبر المقاهي في ليبيا عموما ومدينة بنغازي خصوصا ذات طابع مميز لدى فئة كبيرة من المجمتع أصبح عندهم ذهاب إلى المقهى.. طقس يومي عتيد يعرفه كل الرجال منذ عشرات السنين، حتى اشتهر عند العديد بأنه البيت الثاني للرجل. فهو يقصده كل يوم دون كلل أو ملل، يجلس به لساعات طوال.

وكان من عادات أهل بنغازي وبشكل خاص رجالها شرب قهوة الصباح في إحدى المقاهي التي انتشرت في المدينة بعد أن أصبحت مركزا تجاريا وحضاريا باعتبارها ثاني أكبر المدن الليبية، بعد توافد المهاجرين إليها من كل بقاع ليبيا دون استثناء،ما زاد من الحاجة لمزيد من أماكن الاستراحة والترفيه.

والمقاهي بالإضافة إلى كونها تقدم للجالس فيها خدمات تنحصر

بتقديم الشاي والقهوة وبعض المشروبات الأخرى، وبعض العصائر الأخرى، فإنها لعبت الدور الأساسي في الحياة السياسية الاجتماعية ،والثقافية في بنغازي ، ليتحول المقهى إلى مرآة عاكسة للمجتمع وتعبير عن نبض الشارع واهتمامات الناس ومؤشر لتوجهاتهم

أكتب موضوعي هذا وأنا في أحد أقدم مقاهي المدينة، وهو مقهى "تيكة" العتيق، أحتسي قهوتي وأشم عبق التاريخ في كل الأرجاء أسمع قرقعة الفناجين وماكينة القهوة الإيطالية تعزف موسيقاها مع الأصوات المتناثرة هنا وهناك، وتزداد الأحاديث طرافة وتشويق،وحدة، وعناد، في بعض الأحيان عندما تكون تدور حول جلسات المؤتمر الوطني العام، وفي أحيان أخرى حول مباريات الدوري الأوروبي.

ومن على الكرسي أشاهد أجواء المدينة، والسيارات المارة، والناس التي تتجول هنا وهناك، لقضاء مصالحها، ومبنى البريد الرئيسي، الذي تم بناؤه في عام 1963خافت الأضواء أمامي بعد أن كان في الماضي يضج بالحيوية والنشاط، وكشك الجرائد القديم لـ (سي مفتاح الحداد) الذي وضع في هذا المكان في الستينيات وظل مع كشك الطشاني، مكان تزود سكان بنغازي بالمعرفة، والذي أزيل في الثمانينات، في عهد القذافي، وبعد أسبوع مات صاحبه من الزعل والكمد حسرة ليه! وعلى يميني تقبع مكتبة قورينا التي تصارع وتتحدى الزمن.!

وأتذكر كيف كانت تلك المقاهي بأجوائها، من طاولات وكراسي تشدك إليها دون ملل أو ضجر، وروائح القهوة الزكية، ولكن واقع الحال يقول غير ذلك.

ومن أشهر مقاهي مدينة بنغازي، التي كانت تضم صفوة ونخبة

المجتمع في ذلك الوقت، مقهى العرودي بميدان البلدية، الذي كان من أشهر رواده شاعر الوطن أحمد رفيق المهدوي، الشاعر رجب الماجري.

وهو ما كان يشكل صالونا أدبيا، بمعني أن المجتمعين كانوا يتدارسون فيه الأدب والثقافة. وبالتالي يساهمون في تطوير ثقافة المدينة.

وهناك مقهى الترهوني، الذي كان مفضلا للشاعر على الفزاني. ومقهى سوق الحوت، حيث كان الشاعر المرحوم عبد ربه الغناي، يجلس فيه بانتظام. ومقهى العمال بشارع عمرو بن العاص، ومن أشهر رواده الأستاذ طالب الرويعي، والقاص المرحوم يوسف الدلنسي، والنقابي المرحوم رجب النيهوم . أما الأديب الراحل خليفة الفاخري، فكان دائم التردد على المقهى الرياضي في ميدان الشجرة، وعلى مقهى دمشق في شارع عمرو بن العاص.

وكانت هناك مقاه شهيرة أخرى في مدينة بنغازي، مثل مقهى "سي عقيلة" بشارع نبوس بالقرب من المطبعة الحكومية، وحيث كان يجلس مجموعة كبيرة من الصحفيين والأدباء، منهم الأستاذ أبوبكر عمر الهوني، حسن مسعود عثمان، رشاد الهوني، والأستاذ محمد على الشويهدي، وبكر عويضه، وأيضا المرحوم السنوسي الهوني، والأستاذ أحمد الحريري، والأستاذ محمد اوريث، والأستاذ أنيس السنفاز، والأستاذ عبد الرازق بوخيط.

إلى جانب مقاه أخرى مثل مقهى شمسه، ومقهى الترهوني، ومقهى بالتمر وجميع هذه المقاهي تقع بشارع عمرو بن العاص. هناك أيضا، مقاه بأقواس الفندق البلدي، ومقهى هلال، وأمامه، مقهى الطرابلسي، ومقى المجدوب بسوق الجريد، ثم مقهى الحاج بريك بسينما هايتي، ومقهى المجذوب،

وكذلك مقهى بوبكر بن قبلية بسوق الجريد، عند مدخل شارع بالة، ومقهى العبود بشارع بن شتوان وهو امتداد قصر حمد، ومقهى ستالين بشارع الشريف، هناك أيضا مقاه مثل مقهى نجمي على الكورنيش، ومقهى ميدان الحدادة ، ومقهى تيكة أمام البريد الرئيسي، ومقهى أكرم في شارع عمر المختار، وهناك كان يتردد، الناقد حسين مخلوف،والأديب محمد وريث.

وفي منطقة البركة ـ مثل مقهى بن غزي ـ وفي سيدي حسين ـ مثل مقهى بوزغبية. ومقهى الوحدة العربية، مقهى على شمالي، الأمازيغي، الناصري في شارع قزير، ومقهى علي العربي بجانب مصرف الوحدة، ومقهى البحارة بشارع فيتورينو، ومقهى التونسي بشارع مصراته.

ويدورحديثنا هذه المرة عن مقهى تيكا، الذي يقع مقابل "البريد الرئيسي" وهو يعتبر من أقدم مقاهي المدينة، والذي فتح أبوابه لأول مرة في عام 1948 بإدارة الحاج مفتاح حسن تيكه، الذي استأجر المكان من السيد مبارك السوسي. والحاج مفتاح عمل كسفرجي في الديوان الملكي حيث يتم استدعائه عند الاحتفالات الرسمية التي تقام هناك. وقد أشرف بنفسه على إدارة المقهى حتى عام 1992، وتوقف لمرضه حتى توفى عام 1996. وتناوب على العمل في المقهى كل من سالم التاورغي، وفضيل الخضيري، وعامل مصري اسمه السيد، خلفه مصري آخر اسمه مسعود، وفي أثناء العطلات الصيفية، كان إدارة المقهى تذهب في أحيان كثيرة للحاج المهدي تيكة شقيق الحاج مفتاح.

ويحكي احميده علي تيكه، ابن صاحب المقهى، فيقول: "يظن الناس أن المقهى الشعبي قد انتهى، وهذا خطأ، فلا يزال المقهى الشعبي

يحظى بإقبال كبير، حيث يقوم بخدمة زبائنه منذ افتتاحه وحتى الآن، بكراسيه وطاولاته المنتشرة أمام المقهى وتحت أقواس شارع عمر المختار، حتى عام 1976، حيث أمرت سلطات الأمن (المباحث العامة) بمنع وضع الطاولات والكراسي خارج المحل، لأسباب سياسية منعا للتجمع، وانتقاد النظام خاصة بعد أحداث الطلبة في عام 1976، ولم يعود الحال إلا بعد انبلاج ثورة 17 فبراير 2011. وقفل المقهى عام 1983 لمدة عامين، مثله مثل غيره من المقاهي، بعد تجميد النشاط التجاري في البلاد، وهو أحد القرارات الغريبة لنظام القذافي.

ويتابع احميده على حكايته فيقول: على مقاعد المقهى جلس الكتاب، والشعراء والرياضيين، منهم على سبيل المثال الدكتور عبد الواحد خليل، محمد علي البسيوني، السيد بومدين، صالح السنوسي، عمر الككلي وعلى الرحيبي وعبدالسلام شهاب،أحمد الفيتوري،محمد الأصفر، محمد المسلاتي، والصحفي الرياضي عبد المجيد الفيل، وزين الدين بركان، والمخرج مفتاح بادي، ولاعب الكرة مصطفى الشطيطي، والمدرب عثمان زغبية، والرياضي فتحي سويري،ومدرب الأهلي البنغازي، الإنجليزي طومسون،ومدربين من تونس والجزائر والمغرب، واللاعبين، عمر القزيري وعلي مرسال وعلي الميار، وأحمد الفلاح ورمضان اشبير. ومن الأجانب كان يتردد عليه بصورة منتظمة، البحارة اليونانيين الذين كانوا يرقعون شباكهم عند مدخل ميناء بنغازي، ويتمتعون جميعهم بشرب القهوة العربية على الفحم في بداية الأمر، حتى عام 1963، وبعد فتح البريد الرئيسي وزيادة الطلبات، جلب الحاج مفتاح، ماكينة إيطالية لصنع القهوة والكاباتشينو والأسبريسو.

كما يتردد على القهوة، الموظفين والمخبرين والعاطلين والمتقاعدين، يتناقشون في كل المواضيع من الرياضة إلى السياسة، يحتسون القهوة العربية، التي تزال القهوة تحتل حصة الأسد من طلبات الزبائن في المقاهي الشعبية، أخبرنا أحدهم أنه حتى لو شرب قهوته في منزله، إلا أن ارتشافها في "مقهى تيكه" لها طعم مختلف بينما يأتي طلب الشاي وباقي المشروبات في المقام الثاني.

ويضيف احميده تيكة، ويروي نوادر وحكايات القهوة قبل وبعد ثورة 17 فبراير، فيقول إنه في أحد أعوام التسعينيات حضر إلى المقهى أحد الزبائن المعروفين، بعملهم في جهاز الأمن الداخلي، ومعه صورة كبيرة لحاكم ليبيا السابق (القذافي) داخل برواز جاهز، وقام بتعليق الصورة في أحد أركان المقهى مما أثار سخط واستهجان الزبائن، الذين كانوا يجتمعون عادة أقصى ركن في المقهى، ويتحدثون بصوت خفي في أمور البلاد، وبمجرد دخول أحد المخبرين، يتغير مسار الحديث لينتقل إلى أمور الكورة، وكان كود تغيير المسار هو كلمة (شنو صار في فريق الأهلي أمس)، واستمر الحال على ماهو عليه، لأنه في ذلك الوقت لم يستطع أحد معارضة الأمر بشكل واضح، ومن النوادر الذي يحكيها احميده علي أن فرقة من الحرس البلدي مع رجال الأمن السري، حضروا إلى المقهى في أغسطس 2010 أي قبل موعد الاحتفال بانقلاب سبتمبر، عند الساعة العاشرة صباحا، والزبائن جالسين على المقهى، طلبوا منه إخراج الزبائن وإقفال المحل لساعات من أجل طلائه باللون الأخضر، مشاركة في الاحتفال.

أما المقهى بعد اندلاع ثورة 17 فبراير وبسبب قربه من ساحة التحرير، فقد شهد رواجا من الزبائن الذين كانوا يتابعون الأحداث، وكذلك شهد

تجمع عدد كبير من الإعلاميين والصحفيين الأجانب الذين حضروا من كل مكان لمتابعة الأحداث عن قرب. وتناول المشروبات الباردة والساخنة ومن بين هؤلاء مراسلين قنوات عربية مثل الجزيرة والعربية والتلفزيون المصري، وقناة 24 فرنسا، وبي بي سي، ومحطات أمريكية وأوروبية مشهورة.

وبعد أن انتهيت من الحديث مع صاحب المقهى، توقفت الذاكرة، وتوقفت الكتابة وتوقف التدوين. فالساعة التي أمامي، تشير إلى الساعة الواحدة ظهرا، وهو موعد قفل المقهى، وتعلن عن قرب مغادرتي المكان. لملمت أوراقي وتفقدت أشيائي، وغادرت وأنا أودع مبتسماً صاحب المقهى، وروادة، على أن نلتقي في وقت آخر. أُطفئت الأنوار في المقهي، استعدادا لقفل أبوابه، ولكنه سيعاود فتحه من جديد بعد العصر. فالمقاهي في هذه المدينة لا تصد أبوابها، عن روادها وعن كتابها وفنانيها وناسها ومواطنيها.

إنها دعوة للاهتمام بتاريخ المقاهي في بنغازي وتوثيقها، خدمة لتراث هذه الأمة، لتعود للقيام بدورها الثقافي، المتمثل في هذا التجمع العفوي اليومي. المدينة التي يعاني مثقفوها وأدبائها من قلة توفر المقاهي الأدبية، أو ما يقوم مقامها وباعتبار أن المقهى يمثل ملتقى يومي دائم لهم. ملتقي الإبداع والثقافة والفن والسياسة والناس والشعوب. طالما هناك من يرعاها ويحافظ عليها، ويعتبرها إرثاً ثقافياً وأدبياً شأنها شأن أي موروث تحتويه المدينة، يتوارثه الأجيال جيلاً بعد جيل، معرفا بتاريخ المدينة وتاريخ مبدعيها.

ذكريات بنغازية
الهلال الليبي

تأسس نادي الهلال الرياضي الثقافي، المعروف بنغازياً باسّم (الهيلاهوب) في عام 1950 على أيدي مجموعة من رجال بنغازي، وقد تم إشهاره عام 1952.

كان الهلال في خمسينيات القرن الماضي من أقوى الفرق الرياضية في برقة إلى جانب (الأهلي) و(النجمة). واستمر تألق الهلال في فترة الستينيات، التي تعتبر من الفترات الذهبية بالنسبة لكرة القدم الليبية.

برع الهلال في مختلف أنواع الرياضة الفردية والجماعية، واشتهر باللونين (الأزرق والأبيض) .

يقع مقر النادي في حي سيدي حسين بمدينة بنغازي، وقد انتقل إليه في بداية عام 1973، بعد أن كان مقره في شارع (ادريان بلت) وقتها وهو شارع عبد المنعم رياض حاليا.

وكان أوّل مقر لنادي الهلال في عمارةِ القماطي بشارع عُمر المُختَار بجوار البريد الرئيسي، ثمّ انتقل النادي إلى عمارة مازق بشارع الاستقلال عند الحرس

البلدي خلف عمارة مصطفى البركي المطلة على ميدان الشجرة، ثمّ انتقل إلى شارع عمرو بن العاص في عمارةٍ قزح بالقرب من القنصلية الإيطالية، ومنه إلى شارع أدريّان بلت. ليستقر أخيرا في حي سيدي حسين.

لم يكن نادي الهلال مجرد ناد رياضي يجتمع فيه اللاعبون والمشجعون فحسب.. لكنه كان أشبه ما يكون ببيت العائلة لسكان منطقة (اعيال لبلاد!) أي وسط المدينة، وبالتحديد سكان شوارع العقيب ومحمد موسى والبزار وقصر حمد والرعيض والحشر، وتمتد من الفندق البلدي الى البركة.

كانت هذه المنطقة تضم عربا وأجانب، منفتحة على جميع سكانها الذين ارتبطوا ارتباطا وثيقا بهذه المؤسسة العريقة، فهو النادي الوحيد الذي ضم في صفوفه أكبر عدد من اللاعبين الأجانب والليبيين من مناطق خارج بنغازي، فكان هناك لاعبون يونانيون ومالطيون وطليان وعرب من مصر والأردن والسودان، ولعب فيه نجوم من الطلبة الذين كانوا يدرسون في جامعة بنغازي والذين قدموا من مصراته ودرنة وطرابلس.

كانت الأجواء الهلالية في الشارع وفي البيت تحديدا، مسيطرة بشكل كامل. فقد كان أشقائي كلهم من أنصار ومشجعي القلعة الهلالية، وكان عدد كبير من لاعبي الفريق من الجيران الذين التقي بهم بشكل يومي متواصل، وكان أحد مؤسسي النادي من أقاربنا (المرحوم مصطفى بوسته)، وتعلقت كثيرا بهذا الفريق من خلال حكايات المرحوم مصطفى بوجازية الذي كان الجميع يطلق عليه لقب الدكتور، والمرحوم ارخيص الضراط، الذي امتلك محل بقالة في شارعنا (العقيب)، حيث كنت احرص دائما على سماع حكاياته عن كرة زمان وحارس الهلال العملاق إبراهيم المصري، وصوره التي كانت معلقة في محل ارخيص..

كان أول عهدي بنادي الهلال، في سن العاشرة تقريبا، وبالتحديد في سنوات (شارع أدريان بلت). وأذكر جيدا ترددي على النادي بمقره الجميل الذي هدم بعد ذلك، وحرصي الشديد على متابعة استعدادات اللاعبين قبل مغادرة النادي لإجراء التمرينات الرياضية، التي كانت تجرى في الملاعب الخمسة، وتعلقي الشديد بمشاهدة نجمي المفضل، اللاعب الدولي علي الشعالية الذي لم تنجب الملاعب الليبية مثيلا له، (والذي حملت لقبه أثناء لعبي كرة القدم مع أقراني في وسعاية شارع الحشر) فقد كان الجميع يحرص على مناداتي بالشعالية، وخاصة لاعب الهلال السابق (عمر دومة، الذي يتذكر ذلك اللقب رغم مرور سنوات كثيرة، ويناديني به حين يلقاني في كل مرة).

ولم أكن اخفي إعجابي بهذا اللاعب الفذ، وكنت احرص في كل مرة على تناول طعام الغذاء بشكل سريع، وأوسع الخطى نحو مقر النادي الذي لا يبعد عن بيتنا كثيرا، وبمجرد وصولي ادخل الغرفة التي توجد بها الأحذية الرياضية، واخرج حذاء علي الشعالية وأقدمه له بنفسي، وأتابعه حتى يركب أتوبيس النادي الذي كان يقوده محمد المغربي الشهير بـ (الري) في طريقهم للملاعب الخمسة للتدريب.

ما زلت أذكر ذلك جيدا، وكأنه شريط سينمائي يمر أمامي، المدخل الرئيسي للنادي، وصالة (الجاتوني) التي كانت تقام فيها الدوريات، وعلى اليمين، يوجد مكتب مجلس إدارة النادي، ثم صالة كبيرة توجد بها لوحة تعلق عليها: أنشطة النادي.. وقرارات مجلس الإدارة.. والجريدة الحائطية (صحيفة الهلال) التي كانت تعدها اللجنة الثقافيّة بالنادي، والتي كانت من أنشط اللجان الثقافية بمدينة بنغازي، وكانت إدارة النادي تركز كثيرا

على هذا الجانب حرصا منها على توعية الناس في تلك الفترة، وساعدها على ذلك وجود نخبة مثقفة ضمن أعضاء النادي.

وكانت اللجنة الثقافيّة التي عاصرتها تضم في ذلك الوقت، كلّ من: المؤرخ سالم الكبتي،الأساتذة محمود الدحومي، أبوبكر شتوان، عوض الأحويل، وغيرهم، وكانوا يتنقلون في المكان مثل خلية نحل.

وإذا دلفت إلى الداخل قليلا، يأتي على يمينك مقهى النادي، الذي يديره (احريف) أطال الله في عمره. وهناك يتمتع الجميع بشرب الشاهي بالكاكوية والسحلب والقهوة العربية، ويطرب لأغاني فيروز، ومن هناك تجد صالة الألعاب، وبها مسرح صغير، كانت تقام به الحفلات، والأمسيات الشعرية، والندوات الثقافيّة، التي شاركت في إحيائها نخبة من مثقفي ليبَيا وكتّابها، منهم على سبيل المثال لا الحصر الطالب الرويعي، مَحَمّد زغبية، خليفة الفاخري، مفتاح السِّيّد الشّريف، حسين مخلوف، مَحَمّد أوريث، عَلي الفزَّاني، عَلي رمضان بوزعكوك،

وشهدت حضور كبار الشعراء العرب من نزار قباني الى عبد الوهاب البياتي وغيرهم، إلى جانب أمسيات شعرية لكبار الشعراء الشعبيين الليبيين، ومعارض رسم لرسامين ليبيين.

كان فريق كرة القدم يضم ألمع نجوم كرة القدم الليبية أمثال علي الشعالية ومحجوب بوكر وديمس الكبير وديمس الصغير وحمد الأشهب والمصري وميلود عريبي وعبد السلام الورفلي. تشكيلة هلالية في السنوات الذهبية، احرزت الكؤوس المتعددة. كما قدمت للكرة الليبية الكثير، وقدمت للجمهور متعة لا تقدر بثمن. وغيرهم من نجوم أعطوا للغلالة الهلالية والمنتخب الليبي الكثير، وهم جيل الأمس الذي أعطى

الكثير دون أن ينتظر شيئا إلا محبة الجمهور الرياضي.

والحقيقة لا مجال للمقارنة بين جيل الأمس الرياضي واليوم من حيث الالتزام والإخلاص والولاء للنادي الذي يلعبون له وللغلالة التى يرتدونها!! جيل الأمس كان يشعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقه ويتميز بولائه وإخلاصه وحبه للعبه وللنادي وقد يصل به الولاء إلى درجة التضحية بإمكانياته المادية البسيطة فيدفعها عن طيب خاطر لشراء ملابسه الرياضية وأدواته الأخرى .. وهي أشياء لم نعد نسمع بها كثيراً. الآن بل العكس أصبحت المطالب المالية والإلحاح في تحقيق الاحتياجات الشخصية شروطا يمليها غالبية لاعبي اليوم خاصة عندما يحس احدهم انه يمتلك الموهبة.

تناوب على تدريب فريق كرة القدم مدربون كثيرون وكان من بين أشهر المدربين الذين عاصرتهم وشاهدتهم عن قرب الجزائري الإبراهيمي السعيد.الذي فتح محل لبيع الملابس الرياضية في شارعنا (شارع العقيب). ولا أستطيع أن أنسى مدرب فريق أشبال الهلال في السيعينات: عبد العزيز الفرجانى. الشهير بـ (أزقيز) الذي تخرجت علي يديه مواهب كثيرة لعبت للهلال والكرة الليبية. وكذلك المدرب اليوغسلافي فى ذلك الوقت (كوكيزا).

كان نادي الهلال عكس غيره من النوادي الرياضية الأخرى. يركز على الألعاب الجماعية مثل كرة السلة والطائرة كرة القدم . إلى جانب حرصه على تشجيع الألعاب الفردية مثل الملاكمة والمصارعة ورفع الأثقال وتنس الطاولة وتنس الأرضي. وغيرها من الألعاب.

وكانت تقام تدريبات كافة الألعاب الأخرى. داخل النادي حيث توجد

صالة حديثة مجهزة بكافة الإمكانيات والأدوات اللازمة. وموقع صالة الألعاب داخل نادي الهلال الكائن بشارع إدريّان بلت. كان بعد خروجك من الصالة الدائريّة. يلي ذلك مباشرة المخزن ثمّ غرفة غفير النادي ثمّ مقر اللجنة الثقافيّة ثمّ صالة الألعاب حيث يتدرب لاعبو فرق: الكرة الطائرة والسّلة واليد والملاكمة.

مرت أجيال كثيرة مثلت الهلال في البطولات المحلية والدولية في كرة القدم، فمن علي الشعالية ،ومحجوب بوكر، وديمس الكبير، وحمد الأشهب، والمصري، وميلود عريبي، عمران العرفي. إلى خميس العبيدي، ومحمد الكليلي، عبد السلام الورفلي، عمر دومه، عوض مخلوف، ونيس بورويله، محمد الماقني، فضل الله المقصبي، خليل المقصبي مفتاح الطيار، محمد حسن السوداني، عوض عون، حنفي الضبع، حسام السمري، يوسف البكوش، مصطفى جربيع ،حسين اغليو،إلى عباس العبار،حسن المهدوي،عوض بن هلوم، عباس العبار، حسن المهدوي، عوض بن هلوم، رمضان عبد الجواد، عمر الماطوني، فتحي الساحلي، سالم ارحومة، رمضان عبدالجواد.

ومن هؤلاء إلى جيل عبد الكريم الهلالي، عبد الله زيو، رافع العقوري، عبد الله الفزاني، عز الدين بسيكري، عقيلة بسيكري، بوبكر الفلاح، محمد العقوري، أحمد يعقوب، بوسعدة، الخضري، ساسي، وغيرهم.

الألعاب الأخرى:

- فريق كرة اليد: تحت إشراف المدرب حسين المسلاتي برز حارس الفريق المخضرم، عبود، الذي أصبح بدوره مدربا بعد ذلك. تحصل الفريق على عدة بطولات على مستوى ليبيا.

- في السباحة: .برز الأبطال إبراهيم النوال، محمود العبدلي ومحَمّد بوحوية.

- في تنس الطاولة: وتحت إشراف المدرب أحمَد بوهروس، برز اللاعبون ابراهيم قريدبو، وعلي الزردومي، أحمَد شرمد، محَمّد زينوبه، محَمّد سحيم، نجيب القذّافي

ـ في الكرة الطائرة: إدريس غيث، ناجي بوحوية، عمر طافور، بوبكر شتوان.

ـ كرة السلة: أبناء الغرياني، عمر جعاكة، فتح الله المطردي، عبد الحكيم زيدان، توفيق فلاق، قيس العابدية، طه الغناي.

كل من عاصر تلك الفترة، ارتبط بذكريات جميلة رائعة وأجواءٍ صحية، كان فيها شباب الأندية مرتبطا بعلاقات طيبة تقوم على المحبة والانتماء لهذه المؤسسة الرياضية دون تعصب.

كنا حريصين على متابعة المباريات الرياضية، خاصة في فترة ملعب البركة، للتمتع باللعب الجميل النظيف والتشجيع الراقي، وكان الكثير من المشجعين حريصين حتى على متابعة المباريات التي تجرى في طرابلس وفزان، عن طريق الراديو وصوت مذيع المباريات الرياضية الشهير في تلك الأيام حمد عمر الشغيوى مذيع الزمن الجميل وعبارته الشهيرة: السلام عليكم من جديد، التي يتردد صداها في ملعب 24 ديسمبر بمنطقة البركة، وتعيقاته وقفشاته الجميلة (نتابع الآن مبارة كرة القدم بين فريق الاتحاد وفريق المدينة.. والكرة الآن مع علي البسكي، يمررها إلى أحمد الأحول.)..

وملعب البركة (نادي النصر بعد ذلك) بمدرجاته (تروبونة الشعبية، حيث يتواجد مشجعو فريق الأهلي، وصيحاتهم أثناء تشجيع فريقهم (الأهلي لابس خط النار قولوا منه يا ستار!!) وتروبونة الظل حيث يجلس مشجعو الهلال "الهيلاهوب"، وعند دخولك من الباب الرئيسي للملعب يقابلك (سي حمد.. قاطع التذاكر). وشهد ملعب البركة أزهى عصور الكرة الليبية، فعلى أرضه جرت أجمل وأقوى اللقاءات الرياضية، الذي تمتع بها جمهور الكرة في بنغازي، وخاصة في المباريات الدولية والودية، حيث كانت موسيقى الجيش والشرطة، تعزف الموسيقى العسكرية قبل انطلاق تلك اللقاءات في جو احتفالي ندر حدوثه في الملاعب الليبية بعد أعوام السبعينات وانتقال المباريات إلى المدينة الرياضية.

خلال هذه السنوات الجميلة عاصرت العديد من مشجعي الغلالة الزرقاء الذين كانوا حريصين على متابعة الفريق وتشجيعه دون تعصب، وبروح رياضية عالية، لكنهم كانوا يمرضون إذا خسر الهيلاهوب، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر، الدني والعوريمة وفتح الله الهري، كرمبة، ماعونة، الصادق وفوزي المحجوب، ناصر بن هلوم، العربي حويو، سعد كلاي، أحمد قيني، توفيق فلاق، توفيق التركي،البقلول، وغيرهم من مشجعي الهلال المخلصين. نادي الهلال النادي الأول والأخير، الجميع يفتخر بالانتماء إليه، وأنا أولهم. أتمنى أن يعود ليكون بيت العائلة البنغازية كلها كما كان في السابق.

مصادر: شكري السنكي، وجع الفراق وذاكرة المكان، رحيل ناصر خليف بين الذاكرة والألم

شخصيات بنغازية
جمعة الدرناوي، خلقهن وماكانن

اسمه الحقيقي جمعة الدرناوي وهو من سكان منطقة دكاكين حميد (الصابري) الأصليين، تراه يتجول في شوارع بنغازي يلبس الملابس الليبية الشعبية، ويضع على رأسه غطاء رأس يسمى في ليبيا (معرقة) يلبس عادة في الصيف لامتصاص العرق، وفي الشتاء يلبس ما يعرف عندنا بـ (الشنة) يناديه الناس بلقب (خلقهن)، عند مروره ينادي على بضاعته من أمام المحلات التجارية في شوارع لبلاد.

أتذكر مروره مسرع الخطوات من أمام محل المنارة للأدوات المنزلية في شارع العقيب، يناديه عثمان الورفلي.. خلقهن، يرد عليه بعبارة شهيرة التصقت به.. (خلقهن وما كانن.. عليه مومكاده رزقهن).. وهكذا كلما يناديه احد بـ (خلقهن) يرد عليه بنفس العبارة، حرت في الأمر ولم أعرف معناه، قلت أفتش عليه في المنقذ (النت) فاهتديت إلى أن هذه العبارة، هي أغنية علم لأحد الشعراء الشعبيين الليبيين تقول.. (خلقهن وما كانن عليه مومكاده رزقهن)، أردت معرفة المزيد ووصلت إلى شرح معنى أغنية العلم، في مدونة بنت بنغازي (بدرية الأشهب).. وهنا المعنى.. الله الذي خلق الإنسان من نطفة صغيرة ثم جعله إنسان كامل يسعى في

الأرض، هل يعجز ذلك الخالق على أن يهب له الرزق، وكلمة (مومكاده) أي لا يصعب عليه وكلمة (ما كانن) بمعنى خلقهم من لاشيء.

خلقهن أو جمعة... كان يتجول يبيع العسل الطبيعي والروينة والسحلب والحمص والفول اليابس، وغيرها، في طريقة بيع قد تبدو غريبة بعض الشئ، واندثرت منذ زمن، لكنه كان مواصلا ومثابرا عليها، تراه يمشي كيلومترات طويلة، يلف شوارع وسط المدينة دون كلل أو ملل، طمعا في الرزق الحلال، وهو الموظف الكبير في الجمارك.. ليقدم نموذجا للرجل الشريف في زمن اللصوص، ودرسا لكل الشباب في كيفية التجارة والأمانة، ولهذا اقبل الناس على بضاعته الجيدة وأسعارها المناسبة.

يجول جمعة الدرناوي ويتنقل من الصابري حيث يقيم إلى شوارع وسط البلد، وفي طريقه ماشيا يمر على المحلات التجارية في طريقه الذي يمر فيه من أمام الفندق البلدي إلى ضريح عمر المختار وشارع عمر بن العاص، ثم ميدان الشجرة ليصل إلى ميدان سوق الحوت مرورا بشارع العقيب، ومنه لميدان البلدية وسوق الظلام وميدان الحدادة إلى سوق الجريد وسوق بوغولة ويتابع سيره لينتهي به المطاف ثانية في الصابري نقطة الانطلاق وهكذا..

يحمل جمعة (خلقهن) عادة بضاعته في يديه، أوفي برويطة (عربة صغيرة) يعرضها على زبائنه، بطريقته المحببة وعباراته الفريدة وأسلوب بيعه المميزة فعند شراؤك أي شئ، ودفع الحساب، يرجع لك الباقي من الفلوس المخبأة في المعرفة إذا كان الحال صيفا، ومن الشنة الحمراء إذا كان الحال شتاءا، يعطيك الفلوس ويدعيلك دعائه المشهور"أن شاء الله تضعهن فيما ينفعك".. ينادونه.. خلقهن.. شنو جايب معاك اليوم..

عندي روينة ممتازة شهر رمضان قرب يجي.. عندي سحلب درجة أولى، يدفيكم في البرد.. هيا فول وحمص يابس، عاشورا على الأبواب، عندي زميته، عندي دقيق شعير، عليكم وعلى العسل الأصلي.

كانت سوق بضاعته رائجة، لكن مع تغير نمط وشكل المحلات التجارية التي تحول اغلبها إلى محلات ملابس وأحذية يديرها الشباب، واختفاء المحلات التجارية التقليدية وأصحابها الذين كانوا يرحبون به ويتلاطفون معه ويتبادلون معه أطراف الحديثن اضطر في الفترة الأخيرة إلى الجلوس منذ الصباح الباكر أمام بنك... في شارع عمر المختار يعرض بضاعته مفروشة على الأرض، موضوعة في أكياس نايلون، للداخلين والخارجين من البنك والمارة وهم كثر، والرزق على الله.

شخصيات بنغازية
حسين قرقوم الشهير بحيطة

يعاني حسين قرقوم أو (حيطه) وهو اللقب الذي عرف به في بنغازي الوحدة بعد ان أنهكه المرض، وانفض من حوله كل الذين أضحكهم بقفشاته ونكاته المميزة. في السنوات الاخيره كان المارة يشاهدونه جالسا على مادة أمام بيته في شارع بالشيخ المتفرع من شارع الحمام، يسترجع ما بقي من ذاكرته التي خانته في السنوات الأخيرة بسبب المرض.

تعرفت عليه أول مرة أثناء ترددي على ملعب 24 ديسمبر وبالتحديد في تريبونة الظل، حيث يجلس جمهور الهيلاهوب (هلال بنغازي)، وكان من عاداته الوقوف، مرتديا الملابس العربية، ممسكا بالسلك الحديدي الذي يفصل التريبونة عن عشب الملعب، قلقا متجهما ولا يهدأ له بال، حتى يسجل الهلال هدفا جميلا بأقدام الشعالية أو ديمس الصغير.. عندها يتنفس حيطه الصعداء وتنفرج أساريره.

وبعد انتهاء المباراة يتجه مباشرة الى النادي الواقع في شارع ادريان بلنت حيث تدور المناقشات حول المباراة. كان الفريق وأحواله يشغل كل وقته واهتماماته، لكن في نفس الوقت لم يكن مشجعا متعصبا،

فالجميع من مشجعي ولاعبي الفرق المنافسة للهلال اصدقاؤه، وان كان جل اصدقائه هم من لاعبي ومشجعي فريق الهلال.

وتوثقت علاقتي به مثل غيري من مشجعي الهلال في فترة السبعينيات عند ظهور أشرطة الفيديو الكبيرة (جي في سي) التي تسجل مباريات الدوري الانجليزي والايطالي وكأس العالم، حيث كنت أتردد عليه مع الأصدقاء عقيلة بسيكري وشقيقه المرحوم عز الدين ولاعب الهلال عبد الله زيو، ومشجع الهلال محمد الكيخيا، واخرين لا اتذكرهم الآن ومعنا بعض الأشرطة، ونسهر ونحن نتفرج عليها في مربوعة بيته العامرة في شارع بالشيخ متفرع من شارع الحمام، نتعشى ونشرب الشاهي، ونستمتع في نفس الوقت بآخر النكت والقفشات الطازجة، في جو من المرح والمودة والألفة، يفتقدها البيت البنغازي هذه الايام.

نكات وقفشات ابن بنغازي الاصيل، التي يطلقها بقدرة فائقة على الارتجال وخفة الدم، وهي منحة من الله عجيبة.. طالما رددها الناس في بنغازي، لانها مستمدة من واقع الناس وحياتهم، في محاولة للتخفيف من معاناتهم مع انه عاني هو بسبب بعض تلك النكات السياسية الكثير من المتاعب.

قبل مرضه كان يجلس على كرسي بالقرب من قهوة دمشق وميدان الشجرة يوزع ابتسامته على المارين بسياراتهم، ويتبادل معهم النكت والقفشات الجميلة. وبعد أن غاب هو والكرسي تساءل الناس ، وعرفوا بمرضه، منهم من زاره وواساه، ومنهم من امتنع، وهو يقضي الان ايامه وحيدا.

أتذكر محله لبيع المواد الغذائية بشارع الرعيض، وقد علق يافطة على

الزجاج، مكتوب عليها (البيع غدا بالمجان..) وعندما يسأله أحد الزبائن، انا جيت امس وقلتي بكره كل شيء ببلاش، يرد عليه باهي تعال بكره.. وهكذا كان يفعل مع كل الزبائن.

من نوادره، الدالة على عشقه لفريق الهلال، أن أحدهم أحضر له شريط فيديو فيه تسجيل مباراة للهلال فاز فيها على الاهلى واحد صفر، قال انا انتفرج على المباراة وهي مسجلة ومتأكد من النتيجة، ومع هذا خايف الاهلي وانا انتفرج يحط قول، ومن قفشاته، هذه الحكاية وهي عبارة عن حوار جرى بينه وبين والدته.

في احدى الليالي رجع حيطه متأخرا عن موعده المعتاد، سألته والدته: كنك يا باتي مروح وخري الليلة؟

والله يأمي، كان فيه واحد عيل خواف ماسكني، وايتحزز وايهوب بيا على عيل أخر، ومحوتك بيش طلقني.

وكان جل سكان بنغازي يتسابقون في شهر رمضان على فرصة الفوز بضيافة حيطة على الفطور، فقابلته واردت أن أعزمه، فقال عندي ناس واجدين يا اسلومه، قلت له ودوري انا امتى ايجي، رد عليا وقال أنا داير جدول كامل لايام شهر رمضان وكله محجوز، وفي نهاية الشهر ساظهر نتيجة أحسن فطور.

نطلب الشفاء لـ حسين قرقوم، تلك الشخصية البنغازية الاصيلة، التي طالما ادخلت على قلوبنا البهجة والسرور، بروحه المرحة وتعليقاته البديهية الساخرة، التي تجعل الجميع يضحك من اعماق القلب.

شخصيات بنغازية

أحميدة فاصوليا، صاحب أشهر مطعم فاصوليا في بنغازي

اسمه الحقيقي محمد الربع من سكان منطقة سيدي حسين، مواليد 1945 يتيم الأب، رباه عمه عبد الرازق الذي كان يعمل في نفس المهنة منذ عام 1948، لم يكمل تعليمه، وتزوج صغيرا، وكون أسرة مكونة من ستة أولاد وسبع بنات، والكثير من الأحفاد. وساهم بجمع تبرعات لإحدى اكبر مساجد بنغازي، وقد شاهدته بنفسي يجمع التبرعات أمام شباك بيع التذاكر في المدينة الرياضية ببنغازي.

تعرفت على أحميدة أثناء دراستي بمدرسة سيدي حسين (جمال عبد الناصر). وبحكم تواجدي في فصل دراسي واحد مع ابن أخت احميده فاصوليا، توطدت العلاقة، وكنت احد القلائل الذين أتيح لهم دخول الكشك من الباب الخلفي، ومتابعة عملية تجهيز وإعداد الساندويتشات، صحبة صديقي، الذي كان يذهب كل صباح قبل بداية الحصة الأولى لمساعدة خاله.

المهم ندخل من الباب الخلفي للكشك، فنجد مساعد احميده في المطعم واسمه (سعد) وهو المتخصص في قلي الدحي (البيض)

وإضافته لمن يريد ساندوتش (فاصوليا بالدحي)، يعطينا فرادي الخبزة المدورة ونحنا نقطعها بالموس الى نصفين لتكون جاهزة لتعبئتها بالفاصوليا الساخنة اللذيذة، وبعد انتهاء المساعدة نظفر انا وصديقي بساندويتش مجاني ساخن طازج مع ضحكة احميده المميزة وعبارته المميزة التي يخاطب بها الزبائن "نهارك ابيض.. نهارك حليب".

يحضر احميده طناجر الفاصوليا من البيت في الصباح الباكر بسيارته البيجو،أما الخبزة فأمرها بسيط لان الكوشة قريبة جدا من مطعم احميده.

عندما يرن جرس الاستراحة للفطور، يخرج الجميع مسرعين على كشك احميده ويبدأ الدعاك (التجمهر أمام المطعم)، هات نص يا احميده، هات نصين، هيا يا سعد سقدنا، الكل يريد شراء الساندوتش الفاصوليا، قبل أن يرن جرس انتهاء الاستراحة ويسكر(يقفل) عليه الفراش (إسماعيل) الباب، فيكون حسابه مع الناظر عسيرا.

قبل الاستراحة وبعدها، تتوافد سيارات المصالح الحكومية في بنغازي على كشك أو مطعم احميده فاصوليا، لشراء الساندويتشات بكميات كبيرة، هذه سيارة مصلحة الجمارك، وهذه سيارة البلدية، وسيارات الشرطة والجيش والحرس البلدي، والكل يريد نصيبه من الفاصوليا الطازجة اللذيذة.

عمل احميده في بداية حياته مع عمه يساعده في بيع الفاصوليا على عربة متحركة أمام سينما هايتي ومدرستي النهضة والأمير، وبوفاة عمه انتهى به المطاف في كشك بحديقة أمام مدرسة سيدي حسين الإعدادية، استمر بالعمل فيها منذ عام 1968، وحتى عام 1997، عندما

هدمت جرافات البلدية، ضمن حملتها على أكشاك المدينة، كشك احميدة فاصوليا الذي يسترزق منه، فقدم شكوى للسلطات المحلية وسانده الناس بتوقيعهم على عريضة رفعت للجهات الرسمية، تعلن ان هذا الكشك هو احد معالم مدينة بنغازي، وتم رفع العريضة لطرابلس، وقبل ان تجئ الموافقة، استمر احميدة في بيع ساندويتشات الفاصوليا بالقرب من المكان، بداخل سيارته، ثم أعاد بناء الكشك، واستمر حتى يومنا هذا يبيع ساندويتش الفاصوليا الذي لم يتغير حجمه أو مذاقه أو رائحته طوال هذه السنوات.

من نوادره وتعليقاته أن سأله يوما احد الأشخاص عن كيفية الحصول على رخصة مطعم، فأجابه احميدة: "دخول الإسلام أسهل من الحصول على رخصة مطعم في بنغازي، فدخول الإسلام لا يتطلب إلا شهادة واحدة وهي شهادة لا الله إلا الله محمد رسول الله، بينما رخصة المطعم تحتاج الى أكثر من عشر شهادات".

وقبل أن نختم موضوعنا هذا لا ننسى أن نذكر مساهمة احميدة فاصوليا أثناء ثورة 17 فبراير إذ قام بالتبرع بـ 5000 وجبة لثوار جبهة البريقة، و1000 وجبة للمعتصمين بساحة التحرير.

ملاحظة: أثناء إعدادي لكتابة هذه المقالة من سلسلة مقالات (شخصيات بنغازية) وصلتني معلومة من ابن اخي عمر منصور الزغيبي، منقول من صفحة صلاح الغزالي على الانترنت، تقول ان محمد الربع (احميدة فاصوليا) قد تعرض لجلطة دماغية قبل أيام وهو يعالج الآن في مصر، ندعو له بالشفاء العاجل وان يرجع الى أهله طيبا.

مصادر: احميده فاصوليا ، د. فرج نجم / الصورة من مدونة صلاح عبد العزيز

شخصيات بنغازية وطنية عشقت الهلال

الشهيد محمد فرج حمي

في حياة الشعوب شخصيات وطنية تحب بلادها وشعوبها وتناضل وتموت في سبيلها، تعمل من اجل كرامة وعزة الاوطان، ومن اجل ترسيخ قيم الوفاء واحياء لذكراهم العطرة لابد من تذكير الاجيال الحالية بهم.

شخصيتنا هذه أحبت ليبيا واحبت مدينتها بنغازي، وعشقت ناديها الهلال، وساهمت في تأسيسه مع كوكبة من رجال بنغازي، بجانب المرحوم مصطفى بوستة، تقلد منصب رئاسة النادي وكان أول رئيس لمجلس إدارة النادي، التي شكلت عام 1957، وأعيد انتخابه كرئيس لنادي الهلال من عام 1970 إلي عام 1973.

اهتم الشهيد خلال رئاسته لنادي الهلال بالنشاطات الثقافية، في بادرة اعتبرت في حينها سبقا تاريخيا في تاريخ النوادي الرياضية في ليبيا، فساهم في نشر الوعي الثقافي والسياسي والاجتماعي في ليبيا، وذلك من خلال العديد من الانشطة الثقافية كالندوات والمحاضرات والامسيات الادبية والشعرية والمسابقات والمسرحيات ومختلف النشاطات الثقافية الاخرى.

تعرفت على الشهيد محمد فرج حمي، بعد افتتاحه مكتبا قانونيا

لتحرير العقود. بعد أن ترك مهنة التدريس بعد انقلاب القذافي في 69، بجانب جامع بن كاطو وهناك التقيته اكثر من مرة بحكم ترددي على المكتب لانجاز بعض الاوراق الخاصة بمكتبنا التجاري، ولزيارة ابن عمتي المربي الفاضل رجب النيهوم، الذي كان يعمل في مكتب تحرير العقود مع صديقه وزميله السابق في سلك التعليم، وبالتحديد، كانوا زملاء في مدرسة الابيار الداخلية.

الى جانب ذلك كانت لي علاقة صداقة وجيرة (كنت أسكن في شارع العقيب وعائلة حمي في البيت الواقع في زاوية شارعي فياتورينو ودرنه)، وكان ابنهم جلال زميل الدراسة في المرحلة الاعدادية، ولعبت الكرة في ستاك موقف السيارات خلف مبنى الاسكان، مع علي حمي الذي لعب في صفوف الهلال، وجمعني مع اولاده حب الغلالة الزرقاء (الهلال).

تقول سيرة شهيدنا بأنه ولد في مدينة بنغازي في عام 1921م، وعاش في نفس المدينة، التحق منذ طفولته باحدى المدارس القرآنية، بعدها بالمدارس المدنية الابتدائية. تزوج من عائلة ليبية من طبرق، وأنجب منها بنتين واربعة اولاد أحمد وجلال وعلي ومروان.

عمل مدرسا ومشرفا في مدارس بنغازي، ثم ابعد عن مدينة بنغازي، بسبب نشاطاته السياسية، فعمل مشرفا في مدارس الابيار، ثم التحق بعد ذلك بالديوان الملكي بمدينة طبرق، كأمين لمكتبة الملك محمد ادريس السنوسي رحمه الله. وعين كمسجل عام للجامعة الليبية، بمدينة بنغازي في عام 1957م، ساهم السيد محمد حمي، في اصدار صحيفة "الايام"، في عام 1964م، والتي كانت تمثل، في ذلك الوقت، الخط القومي التقدمي في ليبيا.

كان السيد حمي من اعمدة الحركة الكشفية في ليبيا. وعضوا بارزا في جمعية عمر المختار، والتي تأسست في عام 1942م. وفي بداية الستينيات، انتسب السيد محمد حمي، الى حزب البعث العربي الاشتراكي، بل وكان من عناصره القيادية البارزة.

اعتقل السيد محمد فرج حمي ضمن حملة الاعتقالات التي استهدفت حزب البعث في عام 1961م (في العهد الملكي). وتمت محاكمته مع باقي اعضاء الحزب.

وقف ضد النظام العسكري الفاشي، فاُعتقل في حملة ابريل من عام 1973م عقب خطاب زوارة، وقضى في السجن بضعة شهور، وأعتقل مرة اخرى، في شهر مارس من عام 1980م، بعد قيامه بتابين الشهيد عامر الدغيس.

عذب الشهيد عذابا شديدا، معنويا ونفسيا وجسديا، الى ان استشهد بين ايديهم في الخامس من ابريل من عام 1980م. ومن ثم نقل جثمان الشهيد حمي بعد حين مصحوبا بإفادة صادرة عن بلدية طرابلس مؤرخة في 4 مايو 1980م إلى مدينة بنغازى التي ولد فيها وأحبها كل الحب، وبهذا فقدت البلاد واحدا من ابرز الوجوه المشرقة في تاريخ ليبيا المجيدة.

مصدر: عثمان حسين العالم، أستاذ الجيل، الشهيد محمد فرج حمي، شخصيات، 21 أبريل 2008، صوت الطليعة، موقع الحركة الوطنية الليبية

شخصيات بنغازية

عمر الصادق الورفلي (عمر المخزومي)

الفنان الشعبي عمر المخزومي، واسمه الحقيقي عمر الصادق مسعود الخازمي، من مواليد 1932، خدم بالجيش الليبي في أول تكوين له سنة 1953، ووصل رتبة رئيس عرفاء وكان رفيق خالي منصور شحات في العسكرية.

لم تكن علاقتي بالفنان عمر المخزومي مجرد علاقة مستمع أو عاشق لصوته وأغانيه، بل هي علاقة جيرة وأبوة، فقد أرتبط مع عائلتنا بأواصر الصداقة والمحبة والجيرة الطيبة، فقد كان الراحل جارنا وصديق والدي، ومحل بيع الخردوات والملابس، المتجر الشعبي، الذي يملكه كان مقابل منزلنا في شارع العقيب، وكان للثلاثة (عمر المخزومي ووالدي محمد الزغيبي وعوض صاحب محل تصوير خرائط، المجاور لمحل عمر في عمارة (خليفة البابور)، صداقة ورفقة عمر استمرت لسنوات، وكان ينادي والدي (باباه).

أما شقيقه (عثمان) فكان شريك أخي الأكبر منصور في محلات الأمل لبيع الأدوات المنزلية في شارع العقيب، لسنوات قبل أن تطاله يد التأميم وتتحول كل المحلات الى أسواق عامة وجمعيات تعاونية، في إطار إلغاء النشاط التجاري الخاص في ليبيا.

يعتبر المطرب عمر المخزومي وقد استخدم هذا الاسم الفني في ذلك الوقت لأسباب اجتماعية، من الأصوات القوية العذبة ومن رواد الفن الشعبي الليبي. وبدأ مسيرته في الستينيات، في الإذاعة الليبية وتعامل طوال سنوات عمره مع العديد من كتاب الأغنية والملحنين الليبيين.

من أشهر أغانيه والتي لا يزال الجميع يتذكرها، أغنية "شقيت في غيابه" التي كتب كلماتها أحد رواد كتابة الشعر الغنائي محمد مخلوف، ولحنها الملحن عبد الحميد شادي. وله أغاني عاطفية اخرى وأغاني للمناسبات الاجتماعية مثل أغنية جيتي وجيتينا الشهيرة، والتي كان جمهور الغناء الليبي ينتظرها، وكانت تقدم ضمن الأغاني التي يطلبها المستمعون في برنامج (فرح الأسبوع) الذي كان يقدم في الإذاعة المسموعة الليبية في ستينيات القرن الماضي.

من أغانيه الشهيرة أغنية صون الغلا، يا طير يا حايم، قلبي انسيه الحب وغيرها من الأغاني. تلك الأغاني الجميلة التي حفظها الناس وظلت تذكرهم على الدوام بكل معاني الشوق والحب الطاهر الصافي.

وللراحل المخزومي مساهمات في الشعر الغنائي، ومنها هذا المقطع:

العين باكيه والقلب جرحه دامي من غيبتك حرمت طيب منامي

طيب رقادي عفت المعية والزها واوسادي خليت نارك في الخفا صهادي

عاش المخزومي حياة طبيعية هانئة واشتغل في مجال التخليص الجمركي، حتى القي القبض عليه مع مواطن مصري بتهمة محاولة تفجير ميناء بنغازي. وبعد تحقيقات ومحاكمة صورية لم يتوفر فيها أي معنى للعدالة حكم عليه بالإعدام ظلما، ونفذ حكم الإعدام فيه

شنقا بأوامر من طاغية ليبيا في ميناء بنغازي. في أول حادثة إعدام مدني بشكل علني في المدينة. تهمة مفبركة برأته منها المحكمة الابتدائية الأولي التي عقدت في مدينة طرابلس، لكن القذافي لم تعجبه الأحكام وطالب بتغييرها. ومنذ ذلك الوقت اختفي اسمه من الساحة الفنية وأغانيه من الإذاعة. ولم يكن أحد يجرؤ في ذلك الزمن الغابر حتى للإشارة الى اسمه.

وهكذا حرم الجيل الجديد الذي لا يعرف قطعا من هو عمر المخزومي من الاستماع إلى واحد من أجمل الأصوات في الأغنية الليبية طوال حكم الطاغية. والفرصة الآن مواتية لجمع تراث المخزومي المطموس وإعادة تقديمه للجمهور الليبي المتعطش لكل فن أصيل. إن مثل هذا العمل يعتبر تكريما ووفاء لفنان أعطى للأغنية الليبية الكثير، الذي كرمته جماهير مدينة بنغازي في احتفال كبير بحضور عائلته وأصدقائه في نفس المكان الذي أعدم فيه.

شخصيات وطنية عشقت الهلال

ناجي بوحوية اخليف

تعرفت على الشاب المهذب النبيل الخلوق المرح، أثناء عملي في الفترة الصيفية في مكتبة الشعالي الخراز في شارع نبوس، حيث كان يقيم الشهيد. وعمل معنا في المكتبة لفترة، وكنت أتابع خطواته الأولى في كرة الطائرة في مدرسة الأمير، حيث كان يدرس هو في المرحلة الاعدادية، وأنا في خامسة ابتدائي. وأتذكر المباريات الودية الرائعة التي كانت تقام بملعب المدرسة، عند انتهاء اليوم الدراسي، ونحرص نحن التلاميذ على حضورها للتمتع بمشاهدة الطلبة الذين تحولوا إلى نجوم الكرة الطائرة في ليبيا، ومنهم، إدريس غيث، بوبكر شتوان.....وصاحب موضوعنا هذا.. ناجي بوحوية اخليف، الذي ولد في بنغازي عام 1953 ودرس في مدارسها (الابتدائية والاعدادية في الأمير، والثانوية في شهداء يناير، ودرس الحقوق في جامعة بنغازي). وكان لاعبا بارعا متميزا في فريق الكرة الطائرة بنادي الهلال، احب ناديه ومدينته ووطنه ليبيا، فشارك مثل اقرانه في مسيرة سلمية احتجاجا على تدخل اللجان الثورية في تشكيل الاتحاد العام لطلبة ليبيا وسيطرة ما يطلق عليهم ثوريين في ذلك الوقت على الجامعة، فيما عرف باحداث الطلبة في عامي 76/75، فتم اعتقاله

وتعذيبه وفصله من الجامعة قبل ان يتخرج، فاضطر للعمل بعد وفاة والده ليعول اسرته، في عدة اعمال اخرها كان في شركة الخطوط الجوية الليبية. وفي عام 1981 تم القاء القبض عليه مجددا، دون تهمة واضحة واقتيد الى معسكر 7 ابريل الشهير في بنغازي حيث تعرض هناك الى تحقيق وتعذيب لا يتحمله بشر، فاستشهد تحت سياط الجلادين، بصعقة كهرباء في اغسطس 1982. نقل الشهيد ناجي الى المستشفى، حيث تمت اجراءات الدفن في سرية تامة، ثم حملت الجثة الطاهرة، الى المقبرة، ومنع اهله، من فتح الصندوق، ومعاينة الجثة. ودفن هناك لتنتهي حياة بطل ليبي قاوم الطغيان وقال لا في وجه نظام مستبد.

شخصيات بنغازية هلالية
عبد العزيز الفرجاني الشهير بأزقيز

عندما نتذكر لعبة كرة القدم الليبية فى الفترة السابقة وما قدمته لنا من مباريات ذات مستوى فنى. نذكر المواهب والنجوم التي بزغت في سماء الكرة الليبية وهم كثيرون. ومعهم لابد أن نتذكر كذلك الرجال الذين كانوا خلف اكتشاف أولئك النجوم والمواهب الذين تخرجوا من أندية عريقة أعتمدت على أبناء ناديها بالفطرة والأنتماء وبالتالى أرتدوا غلالة المنتخب الوطنى. هؤلاء الرجال قدموا الكثير للرياضة الليبية وحملو الشعلة التى نريدها أن تستمر فى الإيقاد.

من أولئك الرجال الذين سجلوا مواقف لا تنسى مع كرة القدم الليبية. من بين هؤلاء لانستطيع ان ننكر راعي المواهب وصانع النجوم. المدرب عبد العزيز الفرجاني الذي اشتهر بلقب (ازقيز). وقصتي معه كانت عندما حضرت برفقة اقراني من جيران اصدقاء الشارع (المرحوم عزالدين بسيكري وشقيقه عقيلة بسيكري) الى نادي الهلال للاختبار والانضمام الى صفوف فريق اشبال الهلال الذي كان يدربه في ذلك الوقت المدرب كشاف اللاعبين عبدالعزيز الفرجانى (الشهير باسم أزقيز). في عام 1972 أو 73 ولا أذكر بالتحديد السنة. وجهزنا نحن الثلاثة ملابس

التدريب وأحذية الكورة. ودخلنا لإجراء التسخين أو الإحماء قبل التمرين بالدوران حول ملعب النادي في مقره بشارع أدريان بلنت. بعدها. قسمنا المدرب ازقيز لمجموعتين. وبعد انتهاء التدريب. أخبرنا بمواعيد التدريبات القادمة. وبأعتبار اني كنت عضوا في فرقة المسرح الحديث. التي تتطلب الحضور في العشية لإجراء البروفات. وفي نفس الوقت عليا الدوام في المكتب التجاري الذي يديره أخواي سعد ومنصور. كان من المتعذر عليا ايجاد الوقت الكافي والتنسيق بين المكتب التجاري والمسرح. وبالتالي توقفت عن الذهاب لتمرينات اشبال الهلال رغم رغبتي الشديدة في ممارسة كرة القدم والتعلم أساسيات اللعبة على يد ازقيز.

يمكن اعتبار ازقيز من المدربين القلائل الذين سعوا بجد واخلاص وصمت طوال سنوات على رعاية المواهب وصنع النجوم. حتى يصبحوا كبارا يشار اليهم بالبنان. ولهذا السبب يمكن ان نطلق عليه لقب مكتشف المواهب وصانع النجوم.

تراه يركب الموتيسكل ويجوب المدارس والساحات والميادين والشوارع ودوريات الستاك بحثا عن مواهب كثيرة قام بصقلها واعدادها. وانضمت لتلعب للهلال وللفرق الاخرى ووجدت طريقها لتلعب للمنخبات الليبية في جميع الاعمار.

وهناك الكثير من الأسماء التي تخرجت على يد هذا المدرب بعضهم مازال يمارس اللعبة وآخرون ودعوا الملاعب. ووفاء منهم لم ينسوا فضله عليهم في مقابلاتهم الصحفية مثل لاعب الهلال ومنتخب ليبيا عبد الله زيو.

أشرف ازقيز على تدريب جيلين من فريق الهلال. الجيل الأول. رافع

العقوري، محمد عمر المرحوم فتحي عمر، فتحي الجالي، فوزي الشحومي، عبدالله زيو،توفيق أمنينة، خليفة بروين. أما الجيل الثاني عبدالله الفزاني، إبراهيم سعيد، عزالدين ماعونا، عصام بوكر، عزالدين التومي، المرحوم سعد التركي، شكري السعيطي، إبراهيم جربيع.

كما درب مجموعة من لاعبي أهلي بنغازي، نجوم من أمثال صلاح الزاوي، حميد البيجو، عبدالله محبوب، كمال الزاوي.

كمساعد مدرب مع مدرب الهلال (جمال بونواره) وصل ازقيز في سنة 2000/99 الى المباراة النهائية في مسابقة الدوري الليبي. إنه شخصية بنغازية عشقت الكرة، ونادي الهلال وتركت بصماتها الفنية على حركتنا الرياضية قبل نصف قرن من الزمن.. يملك قدرات فنية بارعة في اكتشاف وصقل وبناء الموهبة.

شخصيات بنغازية
منصور شحات الشهير بمنصور عقارب

يسكن خالي منصور شحات أو (منصور عقارب) وهو لقبه الذي اشتهر به منذ زمن في حي سيدي حسين، أحد احياء مدينة بنغازي، حيث انصهر الجميع الغني والفقير، العالم والجاهل، في محيط غلب عليه التسامح وصلة القربى وقوة الصداقة التي هي سمة ظاهرة بين سكانه، ومن بين شوارعه وازقته.

عاش حياته في حركة دائبة ونشاط لايتوقف بحثا عن لقمة عيش شريفة، كافح وعمل وعاني قسوة الحياة وذل الحرمان. وجرب شظف العيش، ليكسب رزقه بعرق جبينه، مثله مثل كل الرجال الليبيين الشرفاء، الذين لم يداهنوا احد ولم يتملقوا مسؤول.

خالي منصور شحات، وهبه الله خفة الدم والقدرة على الضحك والإضحاك، وسرعة البديهة، وارتجال الشعر.

اكتشفت فيه منذ صغري مقدرته العجيبة على ارتجال الابيات والقصائد بالشعر الشعبي الليبي، فهولم تعوزه العبارة التي تتدفق منه تدفق السيل العرم. ويحسن السخرية والقاء النكات، ويختار بعناية

العبارات الرشيقة والوصف المناسب لكل موقف وحالة.

لايمل احد من جلسته لما فيها من فكاهة وظرف، وعنده حكايات ضاحكة، فالضحك سلاحه الأول للتغلب على الوجه العابس للحياة، ولهذا يستغل كل فرصة مناسبة ليضحك فيها ويضحك من حوله، فالضحك بالنسبة له سعادة، في وجه الشقاء، وعلاج له في وجه المرض، ووسيلة في التواصل مع الآخرين.

من نوادره انه ذهب ذات مرة في نهاية الستينيات في رحلة عمل لشركة مقاولات الى منطقة واحات جالو واوجله، وهناك ذاق المر وضيق العيش، وندرة كل شئ في المنطقة حتى الخبز والماء والاقامة، وهو عكس ما كان ينتظره من وعود، قدمها له صاحب العمل، وحسب الاتفاق الذي تم بينهما، فترك المكان، ورجع مسرعا من هناك، وبعد وصوله الى بنغازي، سألته اخته نواره (أمي)، لماذا رجعت هكذا سريعا من هناك ياخوي؟ فاجابها بابيات من شعر اتذكر منها هذا البيت: "والله يانوارة... لو نبقى في جالو ساعة تنبت في قلبي طباعة".

من طرائفه ايضا، انه خلال سنوات تجنيد المواطنين الليبين من كبار السن، فيما يعرف انذاك من شطحات القذافي بـ (المقاومة الشعبية) طلبت منه لجنة التجنيد احضار والده الذي عمل لفترة في عيادة الاسنان في بنغازي، للالتحاق بفوج المقاومة دون ان يعرفه حتى عمره او سنه، وانه لايقدر على التحرك بعد بلوغه سن التسعون! وبعد ان الحوا في طلبهم، وكان يعمل سائق سيارة الاسعاف في ذلك الوقت، ذهب مسرعا الى البيت في منطقة سيدي حسين، ووضع والده (جدي) المسن، في سيارة الاسعاف واحضره للجنة التجنيد، وقال لهم: " تعالوا استلموا

الراجل اللي يبي يحرركم فلسطين". مما اثار دهشة واستغراب اعضاء اللجنة الذي كانوا يمنون النفس بالظفر بصيد ثمين ولكن للاسف وجدوا انفسهم امام رجل ينتظر نهايته في أية لحظة.

خدم خالي منصور بالجيش الليبي في أول تكوين له سنة 1953. ويحكي انه بينما كان ضمن افراد الجيش الليبي، ايام الاحتلال الفرنسي لفزان، ذهب مع رفاقه لاستلام الحامية الفرنسية في فزان وبراك من القوات الفرنسية. وبينما هو في الخنادق، وصلته رسالة من شقيقه (فرج شحات) يستعجله الحضور الى بنغازي، لتزويجه من احدى الفتيات القصيرات البدينات من اقاربه (وكانت متميزة بـ "شدوقها الكبار"). فرد عليه بقصيدة تجمع ما بين السخرية والحس الوطني وتصوير للحالة التي كانوا فيها، وقال ما معناه "انا قاعد محسوب في حرب وهو يحكيلي علي جواز".

ثم بدأ قصيدته على هذا الشكل:

أول كلامي ودمعتي قدامي وجايب منامي بو شدوق اكبار.

أول كلامي وورقتي قدامي

وهذى كلامي بالقلم واختار

كلامن امبين، احنى وطنه ماهو علينا هين.

لا سوكنه ولاهون لا بوقرين، ولاغات هلي امباعده عالدار.

من سوكنه لفينه، خمسين طلقه علي الكتوف رمينه، تريسن مقاوي ما انديرو الشينه.

وفينا عوض عيل وزاد ازهار (عوض اصغر واحد في الكتيبه عمره 17 سنة)

امغير ايهاجي، ماسك اسلاحه في الكلام ايراجي.

علي كلمة القائد ايريد ايقاجي، يضرب قلال الدين ها الكفار.

ال عدو سبها جينه، ورينه عباد الله فرحو بينه.

من القاهره الباب الجديد مشينه، وطلاب المدارس كلهم حضار.

حاضرين ابنوره، اجعل ليبيا فوق العدو منصوره.

حته التوارق نين دارو ثوره، ورفعو اعلام الدين والمختار.

رفعو اعلام نبينه، مساكين في سبها ايراجو فينا.

لا يعرفو مدرع ولا ماكينه، ولا مدافع ضربهن بعيار.

ضربهن متقاوي، على من بغاء وطني وعقله ناوي.

احنا ليبيا تبي ولد سبهاوي، ايقود الحكومه وفي المجالس نار.

ايدير بدايع، علي وطن مستعمر وحقه ضايع.

الله ينصره كان النصارى جايع، ايوقع علي دفتر ايزيد اسفار.

فرنسا تمضيله، بالسيف موش اقطاف ولا حيله،

ولا خبر بيباص فيده بيله، والله قرنقه يعبدو فى النار.

أول كلامي وورقتي قدامي

وهدى كلامي بالقلم واختار.

في أحدى المرات مرضت زوجته مرضا شديدا، وكان موجود معهم في

البيت (زوج ابنته وهو السيد عبد الرحيم اقجام). وتقرر سفرها على عجل الى الاردن للعلاج. يرافقها ابنها سليم. وصهرها عبد الرحيم.ذهب هو والاولاد والبنات لتوديعها في المطار. وكانت زوجة خالي لابسة جرد. وبعدما عاد للبيت. وفي ثاني يوم فتح دولاب الملابس فوجد الجرد معلق في الدولاب. فتحير في الامر. وسأل البنات عن الامر فقالت له احداهن (يا باتي امي كانت لابسه جلباب تحت الجرد. ولم تريد اغضابك. وفي نفس الوقت لا تستطيع ان تسافر بالجرد للاردن. فاتفقنا على هذه الحيلة. وهكذا كان). على الفور قال قصيدة في هذا الموضوع:

عزوزي دارتلي جلباب عليك عذاب.. الجرد رماته في الدولاب.

الجرد ازعل قال نقابه يالي كنتو.. هل جلبابك واخذ عل الظل..

بشماعه معلق على الباب.

جلباب أرغم من وسطه مليان أبطم..

أنا أجريدك جلاي الهم.. على لزرق مردوع الناب.

وبعد عودتها من الاردن أضاف هذه الابيات:

عزوزي عدت للاردن.. وجتني كي النبيله أترن.

جتني بريانه من فضل المولى سبحانه...

ياربي تميت هنانا ..بناتي وجراتي ألتمن.

عزوزي عدت للاردن..

نا جتني تو بريانه ما فيها سو... طياره تلعب في الجو.

وأمغير أخن.. أسمله أتقول ضربها جن.

من بعد الجوبه ... طياره ما هي منكوبه.

ذبت فوق سماء مرتوبه .. للبيضاء جن.. علي لبرق رداره ران.

عزوزي عدت للاردن..

سواق قديم وماسك في أكتوفه سليم...

عجله ماسكهن بريم.. خبير وفن علي جو بنينا أنحلن.

عزوزي عدت للاردن..

معاهم بوقجام زقب على السلام من قدام.

عليك رحله أه ياسلام... عزايز جن.. شناطيهن علي السير رمن.

عزوزي عدت للاردن..

وبمجرد ان شاف الشناطي المليانه من لوز وفستق واللبن، وخبزة شامية. قال:

وخبيزه رطبه شاميه.. لفريده يادوب الفم.

واضاف: الخبيزة أتريد هريسه عربيه.. هي هابه لو فيها تن.

ردت عليه زوجته وقالت: التن والهريسه تبيلهن مشروب.

قال لها: للّه، الغايه في مشروب.. وثليجه مع الكاس أتذوب... أتبرد عل القلب الملهوف...

عطاشه جن عزاه حته في برداق لبن.

ردت عليه وقالت: عاد اللبن خير من المشروب.

قال لها: لله، اللبن يبي مثروده ..وطويسة شاهي مرموقه... وغناوه معاه مجروده.. وحجاله وبارود ايزن.

عزوزي عدت للاردن

وفي وفاة أحد جيرانه، وهو المرحوم (عوض جديوه)، ذهب خالي لحضور الدفن في المقبرة، واثناء مراسم الدفن، أصيب بدوخة، فوقع بجانب حفرة جاهزة لقبر، فمسك الطين بيديه وبدأ يحدثه قائلا:

متقولي ياطين وين أدياري

وين الغوالي دايخات افكاري

متقولي يا طين وينه الشيخ سالم مع ياسين،

والبرعصي مع لوجلي ولامين داخن افكاري.

ولحقهم فرج شحات خوي وجاري.

وينهو أعموره الشين وينهي غزاله وين رمش العين.

وينه افتوحه شيخ عات الشين.. وقبله أسلومه نين شاطت ناري.

متقولي ياطين وين اديارى

وين الغوالي دايخات افكاري

وينه رنين الباز وينه الغالي صالح التيناز.. دكتور وفي عمره وهو ممتاز

واليوم في حيطك أبقي متواري.

متقولي ياطين وين اديارى

وين الغوالي دايخات افكاري

وينه اشحوته وينه البيجو، وينه التاجوري مع حباق.

وينه بلاله وينهو خيرالله، وينه ربيع العمر يابورواق.

اصغير وجاري والهذب في الدمع بقي متواري.

متقولي ياطين وين اديارى

وين الغوالي دايخات افكاري

وينهو اكشادو وينهو اعويان، وينو عجاحه وينهو حمدان.

وينه عوض لاثرم مع ميدان، شينك مطاري،

بارم على سي حسين يا هواري. (مقبرة الهواري).

متقولي ياطين وين اديارى

وين الغوالي دايخات افكاري .

قتله قيسك أدور فيا، نريد ننهزم ونخش في بتيه،

ندرهب مع العلوه أتقول اميه،

انخش البحر عنك ونا متواري.

رد عليا وقالي وين تمشي مني وأنته كبير السن غير أتغنى

نا نكربك كربت حسين السني

أنحطك أحذي ودوم تقعد جاري.

قتله نا مريدلكشي جيره، ولا نريد في وطنك اندير مطيره.

نا نتركه هل الوطن نمشي لغيره، نلقه عرب زينين يطفو ناري.

قالي لالا نا اللي نطفيها، ونا اللي الحفره انحطك فيها،

هي اتريدك وانت ما تبيها،

الحيط أكبار وسمينتو الهواري.

قتله كنك معايه كنك

شقلبتني وكابر معايه جنك،

وسمينتو المصنع اقريب منك، وعجانتك تبرم وهي دهواري.

متقولي ياطين وين اديارى

وين الغوالي دايخات افكاري

تنويه: القصائد كلها من تسجيلات عمر منصور الزغيبي.

شخصيات بنغازية هلالية
مصطفى بوستة

أسس مصطفى بوستة المولود عام 1930، والمتوفي عام 1999 مع مجموعة من عشاق الكرة في بنغازي في الخمسينات من القرن الماضي نادي الهلال الرياضي. كانوا يجتمعون في مربوعة بيته في زنقة الحشر، وهو زقاق طويل مقفل في نهايته بجراج مسقوف ملحق ببيت من طابقين كانت تسكنه عائلة (الهوش) قبل أن يفتح الزقاق للمارة والسيارات ويصبح شارعا يربط مابين شارعي عمرو بن العاص والبزار.

واتخذ مجموعة عشاق الهلال من المربوعة، التي دخلتها مرات عديدة بحكم القرابة التي تجمع عائلتنا مع شقيقة مصطفى بوستة (مقبولة)، اتخذوا منها مقرا لاجتماع أعضاء الفريق حديث التكوين الذي كان يلعب بعض المباريات الودية مع مختلط من لاعبين أجانب يونانيين ويهود وأرمن ومالطيين.

وحسب مصادر رياضية عدة فإن الأستاذ مصطفى كان في البداية منخرطا ضمن مجموعة النادي الأهلي الرياضي الذي سبق حسب الوثائق الرسمية ظهور نادي الهلال. وبسبب هذه العلاقة فقد طلب الأستاذ

مصطفى من لاعب الأهلي محمد اقعيم تدريب فريق الهلال الذي يلعب في دوري الدرجة الثانية. ومن هناك انطلق هذا الفريق الذي كان يضم في صفوفه خيرة لاعبي الكرة في بنغازي من أمثال الاشهب والشعالية والشيخ ميلود وحجوب بوكر وديمس الكبير.

كان المرحوم مصطفى بوسته هو المسؤول الأول عن الفريق منذ انطلاقته الأولى بالدرجة الثانية ومن ثم صعوده للدرجة الأولى. وكان هو ورفاقه المؤوسسين من أمثال الشهيد محمد حمي وبقية الذين تناوبوا على رئاسة مجلس إدارة نادي الهلال. وراء الفترة الذهبية لفريق الهلال الذي زخر بنجوم كبار في الخمسينيات وأواخر الستينيات. ساهموا في تطوير الكرة الليبية.

مارس المرحوم مصطفى رياضات عدة من بينها السباحة. فقد كان سباحا ماهرا. عندما كان صبيا ولعب كرة القدم وكان سريع الحركة. خفيفا جريئا.

يروي الصديق بوستة ابن المرحوم بعضا من قصة تكوين نادي الهلال فيقول أخبرني والدي كيف جاء اسم الهلال. قال كنت جالساً ذات ليلة رافعاً رأسي إلى السماء وكانت السماء صافيه بلونها السماوي وكان الهلال واضحاً جلياً فيها فقلت الهلال. نعم اسم الفريق يكون الهلال وغلالته تكون بلون السماء وهكذا بدأت رحلة هذا الاسم فى عالم الرياضة.

ويضيف الصديق. أذكر أن عماتى (عزيزه. غاليه. منا. مقبولة) كن يقمن بغسل ملابس الرياضيين عقب كل تمارين وكل مباراة يلعبها الفريق.

ويقول الصديق في رواية عن والده كان والدي متابعاً لكل الألعاب.

السلة، القدم، الطائرة والتنس وألعاب القوة والدراجات وكان يرافق كل فرق هذه الألعاب ليساندهم ويبعث فيهم روح الحماس، وكان بمثابة الأب لكل رياضي ومنتسبي النادي فهو يساعدهم في حل مشاكلهم الاجتماعية والمادية. وكذلك كان حريصاً لأن يؤدي النادي دوره الثقافي والاجتماعي إلى جانب دوره الرياضي. وقد تقلد والدي منصب مراقب عام النادي لسنوات طويلة، وكان حريصاً على توفير احتياجات النادي والرياضيين. وقد تحصل على الكثير من شهادات التقدير لدوره الفعال في النهوض بمستوى الرياضة فى بلادنا. وكان فى كل تشكيل إدارى يكون الاختيار الأول لوالدي. وأذكر أنه قال لي أن أول تشكيل إدارى لنادي الهلال عام 1952 تكون من (مصطفى بوسته، محمد الخباط، نصرى إبراهيم، عبد القادربوغراره، فتحى بوكر، عبد الحميد الرعيض، محمود بسيكرى).

ويضيف الصديق بوستة كان والدي يحظى بحب واحترام الجميع. فكنت عندما أرافقه إلى النادى راكباً معه على دراجته، وعند دخول والدي أرى جميع من يقابله يطفىء سيجارته احتراماً لوالدى رغم أنه من المدخنين.

وأذكر أن اللاعب السنوسى كويدير كان من معارضى القذافى، وأنه مقيم بالخارج فقد اتصل بوالدى وقال له. ياسى مصطفى لقد وكلتك عن نفسى فى اختيار زوجة لى. وفعلا اختار والدى زوجة له وكان وكيل عنه، وسافر معها لمصر حيث كان السنوسى بانتظارهم هناك. وحضر معهم حفلة العرس وسافر معهم إلى ألمانيا.

ويذكر الصديق الأصدقاء الذين وقفوا إلى جانب والده عند مرضه فيقول عندما مرض والدي كان الأستاذ خليفه بن صريتى لايفارقه ليل

نهار. وكذلك محمد الماقنى، محجوب بوكر، مصطفى المكى، وغيرهم من الأسماء التي لايسعني ذكرهم. وعندما سافر والدي للعلاج رفقة (الري) كان على اتصال دائم بنا. وفى يوم العوده اتصل بنا الري وطلب تجهيز سيارة إسعاف. وعندما حضرنا للمطار وجدنا (7) سيارات إسعاف فى انتظار والدي ولا نعلم الجهات التي أرسلت سيارات الإسعاف.

ويختم الصديق بوستة ذكرياته عن والده المرحوم مصطفى عندما توفى والدي، كان النادى الأهلى السباق فى تقديم التعازي، وكذلك باقى الأنديه. ولاأنسى وقفة الصحفي عبد المجيد الفيل الذى شهد بقلمه وبين بصمات والدي فى المجال الرياضي، وعاتب كل مقصر تجاه والدي عبر صحيفة أخبار بنغازي. كذلك لاأنسى وقفة محمد الماقنى الذى أصر على تكريم والدي، وذلك بتخصيص إيجار إحدى محلات النادي لأخواتى البنات ليكون دخل لهم. وحزن عبد الله دغيم الشديد فى المقبرة عند دفن والدي، ووقفة أبناء الهلال وقفة جادة، وتكفلهم بمصاريف المأتم.

ويعتبر المرحوم مصطفى بوستة بكل المقاييس أحد رواد الكرة الليبية، أحد الذين ساهموا بكل جهد في نشر لعبة كرة القدم في بنغازي، والوصول بها إلى مرحلة التطور والإبداع والمنافسة، بعدما كانت هواية تلعب في الأزقة والشوارع.

كان حب نادي الهلال يجري في عروق الأستاذ مصطفى، فأخلص له وأحبه وبذل الجهد والوقت من أجل خدمة النادي، دون انتظار مقابل، فبادله جمهور الهلال وإدارته هذا الحب وكرموه أحسن تكريم، ووفاء لسيرته تم إطلاق اسمه على الملعب الرئيسي للنادي لتظل ذكراه عطره لكل الأجيال.

شخصيات بنغازية
الشهيد الصادق حامد الشويهدي

ضحايا نظام القذافي الذي استمر اربعة عقود عجاف، كثيرون، من ضمن هؤلاء الذين شنقوا في احد أيام شهر مايو (رمضان)، مهندس الطيران (صادق حامد الشويهدي) الذي اعدم في نفس المكان الذي كان يمارس فيه هواية لعب كرة السلة (صالة سليمان الضراط لكرة السلة).

في يوم مشمس شديد الحرارة، بالتحديد في يوم 4 من شهر يونيو من عام 1984، تم نقل الآلاف من طلاب المدارس والتلاميذ الصغار إلى ملعب بنغازي لكرة السلة، ليس لمشاهدة مباراة في كرة السلة بل لمشاهدة عملية إعدام لشاب عمره 30 عاما وتهمته، حسب المحاكم الثورية، هي التآمر لاغتيال قائد الثورة، وقد وصفته المحكمة بأنه "إرهابي من الإخوان المسلمين، وعميل لأميركا".

وفي بداية المسرحية المفزعة والمخجلة يساق الشويهدي مكبل اليدين، يجلس وحيدا وسط وسط الملعب، وهو يبكي معترفا بجريمة انضمامه "للكلاب الضالة"، وهو التعبير الذي كان مستخدما من القذافي وأجهزة إعلامه لوصف المعارضة الليبية ومصير كل من يتهم به كان الإعدام.

وأثناء عملية تنفيذ الشنق تدخلت راهبة ثورية تدعى (هدى بن عامر)، وهي تصرخ داخل الحشد وتلوح بقبضتيها. وتقول (مانبوش كلام اللسان نبو شنقه في الميدان). (صفيهم بالدم يا قايد... سير ولا تهتم. الرصاص خسارة فيهم. عود وقيد أنولع فيهم). ثم تسحب ساقي الشويهدي في عرض متحمس، بينما يتأرجح جسمه على المشنقة، التي أعدت بسرعة، وحبلها غير موثق بعناية في العارضة الخشبية العلوية. وعندما تم إنزال الشهيد من على حبل المشنقة، قام أحد الأطباء بفحصه للتأكد من وفاته. وكانت المفاجأة أن الصادق لازال حياً، فتم نقله بسرعة إلى المستشفى، حيث أجرى له الأطباء عملية تنفس صناعي، وأخذت أنفاس الشهيد في الانتظام، وتم الاتصال بالقذافي وإبلاغه بالأمر، فأصدر تعليمات مشدّدة بوجوب الإجهاز عليه، وحينما رفض الأطباء القيام بذلك، قام "الثوريون" بتنفيذ المهمة القذرة، وقتل الصادق.

ومنذ ذلك الوقت أصبحت الراهبة الثورية بن عامر مرضي عنها، وكوفئت بتقلدها مناصب رفيعة في الدولة، (عميدة بلدية بنغازي، رئيسة الرقابة الإدارية).

وعملية الإعدام المشينة هذه لم تكن الأخيرة في تلك السنة، فهناك عمليات شنق أخرى جري بثها في حينها، وأعاد التلفزيون الليبي بثها مرات عديدة، عندما كانت تتطلب الضرورة ولتذكير الناس بمصير من يتجرأ ويعارض نظام القذافي الطاغوت.

انتهى نظام القذافي وانتهت الراهبة الثورية، وبقت ذكرى الصادق حامد الشويهدي، الذي وهب حياته فداء للوطن، عندما كان النظام القمعي في ليبيا، في اوج بطشه وقوته وارهابه.

ولد الشهيد الصادق حامد الشويهدي، في 25 مايو عام 1954م، في مدينة بنغازي. وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي، في مدينتي بنغازي وطرابلس. درس الطيران في الولايات المتحدة الامريكية. كان من المعارضين الاوائل لنظام حكم القذافي.

شخصيات بنغازية
الحاجة فاطمة الزغيبية

الحاجة فاطمة الهري، أو الحاجة الزغيبية حسب الوصف الذي أطلق عليها، بسبب انتسابها لعائلة الزغيبي، بحكم زواجها من سيدي فرج الزغيبي يرحمه الله.

كان أكثر ما يميزها عن بقية النساء جسمها الصغير وقصر القامة وتقاطيع الوجه المميزة، والوشم الجميل على الوجه، إلى جانب ميزة أخرى تتميز بها وهي ذاكرتها القوية الوقادة، فيما يتعلق بتواريخ أحداث مرت ومواعيد تواريخ ميلاد كل أبناء العائلة والأقارب، بحيث تسرد لك مولده وتاريخ وظروف الولادة، حتى سميت بذاكرة الأسرة.

فهي لا تؤرخ بالتاريخ الميلادي، ولا بالتاريخ الهجري. فهي عاشت في جيل كان يؤرخ بشهور خاصة بهم مقابلة للشهور العربية مثل "أمنا عيشة، ويقابله شهر جماد الآخر، واقصير،الذي يقابل شهر شعبان، واتويبع الأول ويقابله شهر ربيع الثاني، واتويبع الثاني ويقابله شهر جماد الأول، وهكذا". والحوادث بدل الأيام والسنوات. بعد الحرب، وعام المجاعة، وبعد عودتنا من الجلاء، وهكذا.

ولهذا لا تستطيع أي من نساء العائلة مجاراتها، في المعلومات، ويعرفن قدرها، وإن كن في بعض الأحيان يحاولان مشاغبتها.

أذكر زيارتها المنتظمة لبيتنا، وتناول الفطور وشرب الشاهي مع المرحومة أمي وأخواتي وبعدها مع زوجة أخي. أما طعام الغذاء فمن النادر أن تتناوله خارج بيتها المجاور لبيتنا. فهي تصحو عند أذان الفجر، ووجبة الغذاء عندها تكون مع صلاة الظهر، وقد تعودت على ذلك من أيام المرحوم زوجها، واستمرت على ذلك بعد وفاته.

عاشت الحاجة فاطمة وحيدة بعد وفاة عمي فرج. تطهو طعامها، تغسل ثيابها، وترقعها، تطحن الدقيق، وتخبز الخبز، وتربي صغار الطيور، تنظف الصحون، تكنس المنزل. ماهرة في غزل الصوف. وكل هذه الأشياء زالت عنها الهموم وزادتها نشاطا وحيوية وحسن صحتها وأطال في عمرها.

كانت جسمها ليس بالنحيف او بالسمين، متوسطة القامة شعرها مصبوغ بالحنة الحمراء، وتربط منديلا ملونا يتدلى على جانبي الرأس. ورغم بلوغها العام الثمانون واكثر، لم تفقد يوما ذاكرتها ولا نظارتها وخلا وجهها من الغضون. ولم اسمع يوما انها مرضت مرضا كبيرا، ولا اتذكر يوما اني عدتها في المستشفى. وان تعبت في اخر ايامها واصبحت تقطع الطريق من بيتها الى بيتنا بصعوبة.

لم يكن للحاجة الزغيبية أطفالا، لكنها عوضت عن ذلك بأن جعلت من جميع أطفال الأسرة أولادها، ومن أطفال شارع الحشر أطفالها، تعطف عليهم، وتحضر لهم الحلويات.

كان الجميع يحترمها ويقدرها، ونادرا ماغابت عن المناسبات الاجتماعية للعائلة، وحريصة على مشاركتنا في رحلاتنا الترفيهية للجبل الأخضر، وإذا غابت عن أعيننا أياما، فهي تذهب عادة إلى بيت أحد أخوتها (آل الهري) أو لبيت ابنة زوجها (ربيبتها)، زكية.

كانت هناك فتحة تفصل بين بيتها وبيتنا، وكنت إذ تحين الفرصة لدخول حجرتها، لأشم رائحة الغرفة التي توشي بالماضي الجميل، وأتنفس عطر الذكريات، فقد كانت تحرص على جمع الأشياء التقليدية وترتيبها وتزيين الحجرة بها.

كانت رحمها الله تملك صفاءا ذهنيا، وذاكرة وقادة تحفظ كل التفاصيل الدقيقة من حياة عائلتنا وأقاربنا، وغادرت الدنيا الفانية دون أن تترك عداوات أو ضغينة مع أحد.

نوارة البيت

أمي الحنونة الصابرة، الحاجة نوارة شحات، أتذكرها في هذه الأيام، أيام رمضان والعيد. أتذكر جلستها في وسط الحوش وأمامها سفرة الشاي والقهوة. أتذكر إعدادها وتجهيزها الكعك وغريبة العيد مع أخواتي قبل العيد لأحملها لكوشة خميس في شارع مصراتة، وأرجع بالطواجين ساخنة.

كانت تجهز كل شئ بيديها المتعبتين، من غسيل الدبش على اليدين في الليان، وبالصابون السوسي قبل اختراع الغسالة. تغسل المواعين بصابون التايد، وتولع بابور الجاز بالبيرة، تطحن الدقيق في الرحاية، وتبرم حبات الكسكسى بيديها قبل اختراع الكسكسى التونسي الجاهز. وتضيف الكسبر المطحون إلى قهوة "الرجريجي"، وتعجن الخبزة بيديها لأحملها إلى كوشة الصالحين في شارع قصر حمد.

كانت في أيام الشتاء تجهز كانون النار للتدفئة، وتعد الكاكاوية واللوز والشاهي مع حكايات وخرافات، والألغاز الشعبية. يا حزارك يا مزارك. أمبارح شن تعشى احمارك، وخرافة أم بسيسي، وغيرها حتى ننام هانئي البال.

كانت تطبخ لنا، كل شئ نحبه، الحسا، والمقطع والدشيشة، والمحمصة، والحرويسة مع اللفت، والمكرونة والرز الجاري مع الفلفل الحار المبطبط، والمكرونة المبوخة، والرشدة والفتات والكسكسى، والفاصوليا بالكرشة والحرايمي، والرووس وكرعين البقر،والعصبان والمحشي، والعصيدة بالسمن، وفي رمضان الشربة والبطاطا المبطنة والبراك، وأعداد كل هذا يتم على البابور مع اليبرة.

أتذكر رعايتها لنا عند المرض، ولهفتها عند غيابنا، وقلقها من تأخرنا خارج البيت، وحرصها علينا، وعطفها وحنانها، والحرص على ما ينفعنا ويسعدنا، ويدخل السرور إلى قلوبنا.

مات أبي قبلها بعشر سنوات، فأصبحت هي تقوم بدور الأم والأب. ربتنا، (ستة من الذكور وثلاثة من الإناث)، غرست فينا، قيم جميلة.. حب الناس واحترام الكبير، والعطف على الفقير ونجدة المحتاج.

ربي ارحمها وادخلها جناتك يا رحمن يا رحيم، فقد كانت مثل غيرها من الأمهات الصالحات، هي المدرسة الأولى التي ما من أحد إلا وبدأ في حضنها، هي المربية الفاضلة. هي الحضن الدافئ والقلب الرؤوم. هي من الجنة تحت أقدامها... لا يمكن لنا أن نفيها حقها من الفضل العظيم في حملنا في بطنها تسعة أشهر، وما عانته من أسباب الحمل ومن آلام الولادة والمخاض، من أجلنا ولا يغمض لها جفن إلا بعد أن تطمئن على نومنا، ولم تبخل علينا بحبها ودعائها. ارحمها يا رب، في هذه الايام المباركة، وأرحم نساء المؤمنين أجمعين.

شخصيات بنغازية عشقت الفن

عثمان الصادق الورفلي

كان من الممكن أن يكون الشاعر الغنائي عثمان الصادق مشروع كاتب غنائي كبير، وعنده الموهبة والامكانيات التي تؤهله ليستمر في العطاء. فقد ظهر شاعرنا قليلا في زمن النغم الجميل، لكنه غاب وانزوى بإرادته عن الساحة الفنية. وفضل الابتعاد لأن الموجود بعيد عن الابداع والتميز الذي عاشته الاغنية الليبية في فترات متباعدة من الزمن.

ومع هذا فقد كتب العديد من الأعمال الغنائية التي عرف البعض منها طريقها إلى المستمعين، وضلت عشرات الأغاني حبيسة الأدراج ولم ترى النور حتى الآن. كلمات عبر فيها شاعرنا عن أحاسيسه ومشاعره ومشاعر الجيل الذي عاشه، كلمات سهلة وقريبة من الناس ومتميزة ومختلفة عن الشائع وقد أتيح لي أن أسمع قراءات من الشاعر أثناء ترددي على بيته القديم في شارع محمد موسى.

ولعل من أشهرالأغاني التي كتب كلماتها الشاعر الغنائي عثمان الصادق، الأغنية، التي يقول مطلعها (كنت معاه وكان غالي عليا... تركني اشقيت خلاني رميه). وقد وضع لحنها، الملحن يوسف العالم،

وغناها المطرب عمر المخزومي بصوته الهادئ. وظلت هذه الأغنية إلى يومنا هذا .. راسخة في الذاكرة الجماعية.

ولد الشاعر الغنائي عثمان الصادق بمنطقة اخريبيش في شارع البعجة عام 1940 ودرس المرحلة الإبتدائية في مدرسة (الامير). ودرس على أيدي مجموعة من الأساتذة نذكر منهم محمد جبريل، محمد السنوسي المرتضي، مصطفى القرقوري.

التحق عثمان الصادق للعمل بمكتب التلغراف سنة 1960 ثم كموظف بالبنك البريطاني للشرق الاوسط (الوحدة حاليا) 62ـ1967 بمدينة بنغازي. ثم عمل بشركة الخطوط الجوية الليبية 67ـ1977، بعدها افتتح محلا للعطور في شارع العقيب، ثم محلا للادوات المنزلية شراكة مع صديقه منصور الزغيبي.

عثمان الصادق شخصية اجتماعية معروفة في بنغازي. يحب بنغازي واهلها ويبادلونه الحب. والكل يعرفه في المدينة، اذا سرت معه في الطريق ستتاخر في الوصول الى مقصدك بسبب كثرة الناس، الذين يحيونه في الشارع. وهو على إلمام كامل بأعلام المدينة واهلها وشوارعها ومقاهيها. وقد استفدت منه كثيرا في كتاباتي عن المدينة وأهلها. وهذا ليس غريبا عنه فهو بنغازيٌّ بحق، فهو من عائلة عريقة في المدينة، فوالده هو شيخ ورفلة بنغازي وأحد أعيان بنغازي المرحوم الصادق مسعود الورفلي.

كانت هوايته المفضلة القراءة والاطلاع ولذلك اكتسب ثقافة عالية نتيجة اطلاعه المكثف المستمرعلى الكتب المختلفة في الأدب والتاريخ والسياسة والدين وغيرها. ويمكننا القول بأن ما يميز شخصية الشاعر الغنائي عثمان الصادق، هو قربه من المجتمع الفني عن طريق شقيقه عمر

الصادق الورفلي الشهير بـ عمر المخزومي. وعلاقته بالمطربين الشعبيين، وأقربهم كان، المطرب محمد مختار والملحنين وكتّاب الأغنية وخاصة علاقته الوثيقة بأحد رواد الكلمة الغنائية، الشاعر محمد مخلوف، والذي كان شاعرنا أحد المترددين على مربوعته الثقافية، مع صحبة جميلة تضم محمد صدقي وطاهر عمر وعبد السلام زقلام ومحمد مختار، وعبد ربه الغنائي وعلي الفزاني.

بدأ عثمان الصادق علاقته مع الكلمة في سن مبكرة حيث كتب أول عمل غنائي له عام 1959 وهو أغنية (كنت معاه وكان غالي عليا).

قدم شقيقه عمر المخزومي بعض أغانيه، مثل، بعد سنين، كنت معاه، وقدم له نوشي خليل أغنية " خليتني محتار".

أعرف أن عطاء الشاعر الإنسان عثمان الصادق، لا ينضب مهما تقدمت به السنوات من العمر، ولهذا التقيته في إحدى ليالي شهر رمضان الكريم في بيته العامر بالمودة والحب والكرم، وتحدثنا عن مسيرته في الحياة والفن، ومنحني قصيدتين؟ إحداها، كتبها قبل سنوات، وتمنى فيها رحيل نظام حكم القذافي، والأخرى كانت تتنبأ بمولد ثورة 17 فبراير.

قصيدة (خبر واجد).. تنبأ فيها بمولد ثورة 17 فبراير

خبر واجد ما كيفه صار	خبر ما مره شافه حد
خبر دوخنا كبار صغار	خبر يشنا دوم نكد
سمعنا عن حكم الكفار	عسل حنون أنكان أيرد
أحدى ما شفنا م الاقهار	وما سمعنا من جد لجد
حى من منا يا ستار	اللي ما ريح فينا حد

نريدوا فيه أيصير نهار مع جملة باقي اللمد

قصيدة (صاف جيلنا).. تمنى فيها زوال حكم القذافي

صاف جيلنا وصيف أمعانا جيله

واللي نفذ م ارتاح م الاقهار

تريد تسأله من قبل ما تدويله

يرفع أيديه أيقول يا ستار

ياريت نلقى م الدباير حيله

ويا ريت ننجا من صغي الاشرار

أخسارة شباب وضاع من دون جيله

بقهر ومهانة وحرقهم بالنار

واخرى فصائل واجدة ورذيلة

زمان دارها كافر ولد فجار

في وقت حكم ايطاليا العميلة

الفاشست مبدأ حكم الاستعمار

ياريت يرحل قبل يوم وليله

الظالم اللي ما فيه ما تختار

ويرحل أمعاه يا ويلهم يا ويله

أقلال العقيدة والخزي والعار

وتزاح غمة كابسة وثقيلة

عن شعب عاش بقهر زاد وأمرار

مصادر

- معجم المفردات البنغازية، بحث وتحقيق الشاعرة الشعبية بدرية إبراهيم الأشهب

- مجتمع بنغازي في النصف الأول من القرن العشرين، تأليف الدكتور وهبي أحمد البوري

- قاموس بنغازي القديمة، جمع وتحقيق عمران علي المصري الجلالي

- سيرة بنغازي، أحمد الفيتوري

- هدرزة في بنغازي، محمد المفتي

- بنغازى وعبث الكوازي، فتح الله ابزيو

ـ وجع الفراق وذاكرة المكان.. رحيل ناصر خليف بين الذاكرة والألم، شكري السنكي

الفهرس

استهلال	11
سرد	15
بنغازي	74
العودة إلى النبع الأول	74
بنغازيات	83
منارة اخريبيش	83
مقاهي بنغازي	97
صحبة وأنا معهم!	97
بنغازي	102
شيء من الذكريات	102
فنجان قهوة في أقدم مقاهي بنغازي	106
مقهى تيكة	106
ذكريات بنغازية	113
الهلال الليبي	113
شخصيات بنغازية	121
جمعة الدرناوي، خلقهن وماكانن	121
شخصيات بنغازية	124
حسين قرقوم الشهير بحيطة	124
شخصيات بنغازية	127
أحميدة فاصوليا، صاحب أشهر مطعم فاصوليا في بنغازي	127

شخصيات بنغازية وطنية عشقت الهلال 130
الشهيد محمد فرج حمي 130
شخصيات بنغازية 133
عمر الصادق الورفلي (عمر المخزومي) 133
شخصيات وطنية عشقت الهلال 136
ناجي بوحوية اخليف 136
شخصيات بنغازية هلالية 138
عبد العزيز الفرجاني الشهير بأزقيز 138
شخصيات بنغازية 141
منصور شحات الشهير بمنصور عقارب 141
شخصيات بنغازية هلالية 150
مصطفى بوستة 150
شخصيات بنغازية 154
الشهيد الصادق حامد الشويهدي 154
شخصيات بنغازية 157
الحاجة فاطمة الزغيبية 157
نوارة البيت 160
شخصيات بنغازية عشقت الفن 162
عثمان الصادق الورفلي 162
مصادر 166
الفهرس 168

صور من بنغازي

اطفال بنغازي

الشابي

الكنيسة

بنغازي 1923

بيت عربي

سفنز في بنغازي

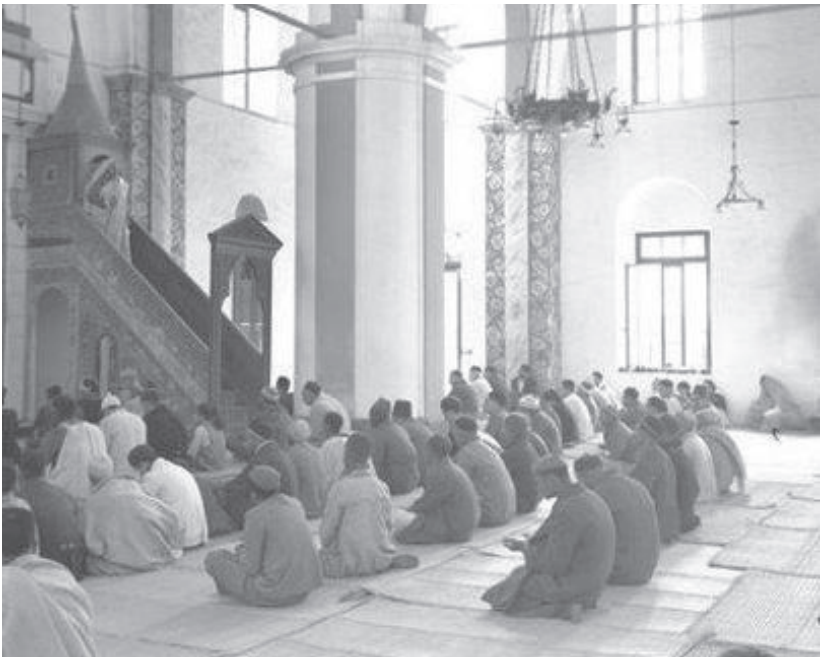

مسجد

كتاب الفقي

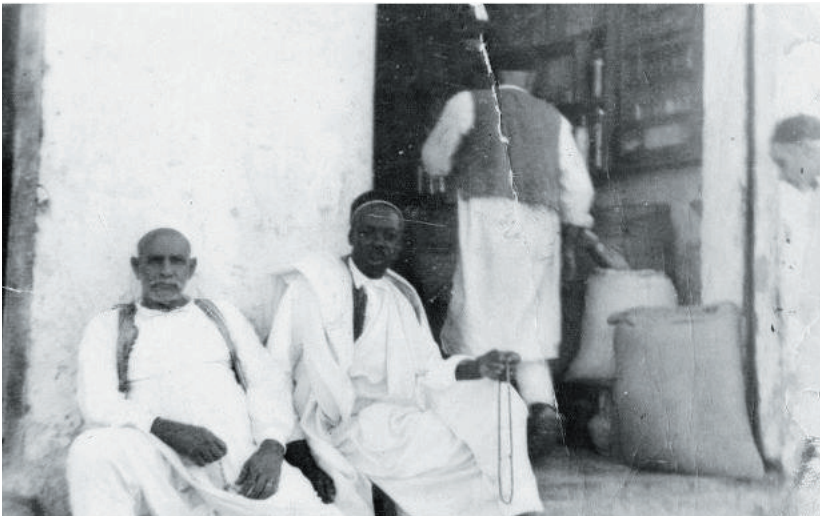

محل في شارع العقيب

كوشة في بنغازي